الدِّين والفلسفة

وجدليَّة العلاقة بينهما

سلسلة إصدارات أكاديمية الحكمة العقلية | ٥ |

الشيخ الدكتور فلاح العابدي

سلسلة إصدارات أكاديمية الحكمة العقلية (9)

الدِّين والفلسفة

وجدليَّة العلاقة بينهما

الشيخ الدكتور فلاح العابدي

پدید آورنده: عابدی، فلاح، 1350-
عنوان: الدین والفلسفه وجدلیه العلاقه بینهما
تکرار نام پدید آورنده: فلاح العابدی
مشخصات نشر: قم: **دفتر نشر مصطفی**، 1435هـ = 2014م = 1393
مشخصات ظاهری: 72 ص.
فروست: سلسله انتشارات آکادمی حکمت عقلی 9
شابک: ISBN: 978-964-466-126-6
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: کتابنامه: ص. 69 - 70 ؛ همچنین به صورت زیرنویس.
یادداشت: عربی
موضوع: فلسفه اسلامی
موضوع: عقل
موضوع: دین ـ فلسفه
شناسه افزوده: آکادمی حکمت عقلی
رده کنگره: 1393 . 9د . 2ع . / BBR14
رده دیویی: 1 / 189
شماره مدرک: 3113274

هوية الكتاب

الكتاب:	الدين والفلسفة وجدلية العلاقة بينهما
المؤلف:	الشيخ الدكتور فلاح العابدي
الإشراف:	الأستاذ الدكتور أيمن المصري
المراجع اللغوي:	أسعد التميمي
الإخراج الفني:	أمجد الأنصاري
تصميم الغلاف:	عباس كبير
الناشر:	. المصطفى
القطع:	رقعي
العدد:	1000
الطبعة:	الأولى سنة 1435 هـ. 2013م
رقم الإيداع الدولي:	978-964-466-126-6

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية الحكمة العقلية

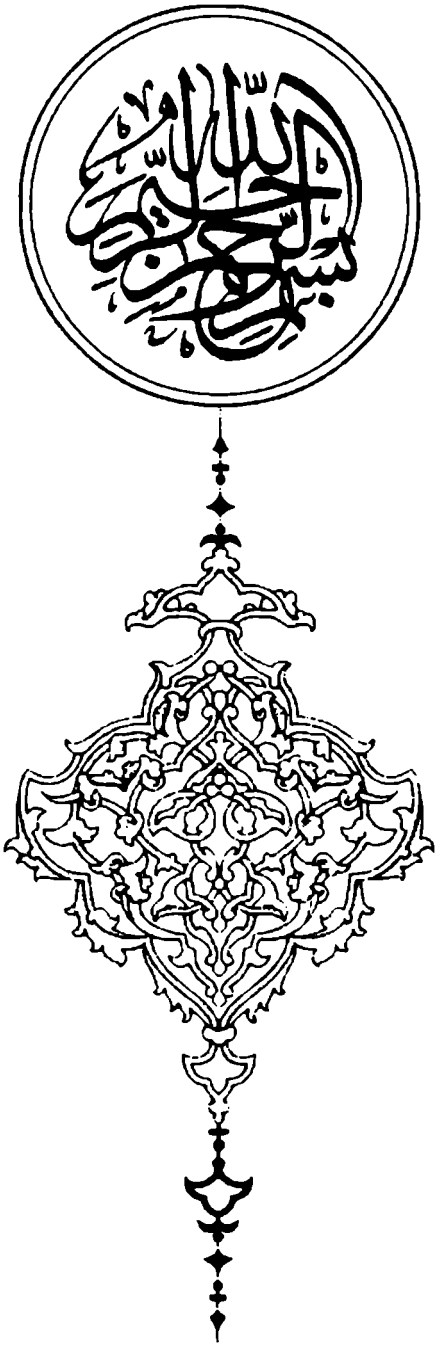
بسم الله الرحمن الرحيم

(إنَّ لله على الناس حجّتين :
حجّةٌ ظاهرةٌ، وحجّةٌ باطنةٌ،
فأمَّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة،
وأمَّا الباطنة فالعقول)

الإمام الكاظم عليه السلام

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، واهب العقل وكاشف ظلمات الجهل، وباعث الأنبياء والرسل، ومقفّيهم بالأوصياء الكمّل، حججاً باطنة وظاهرة على خلقه منذ الزمان الأوّل، ثمَّ الصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأوليائه الصالحين، ولا سيِّما خاتمهم وسيِّدهم حبيب إله العالمين، وآله الطيِّبين الطاهرين.

يعتبر علم الفلسفة واحداً من أهم العلوم الإنسانيّة العريقة، التي تعبّر بحقٍّ عن عبقرية العقل البشري في تفعيل ما أودعه خالقه فيه من إمكانية تحليل الأشياء وردّها إلى أسسها وعناصرها الأوليّة، ومن إمكانية التركيب والاستدلال، حتّى تمكّن من النفاذ من عالم الشهادة والمحسوسات لإثبات عالم الغيب والمجرّدات، وبعض ما له من الخصوصيات، التي لم ترها عين ولا سمعتها أُذن.

وقد مرّت الفلسفة بمراحل عدّة ومدارس كثيرة، منذ زمن التدوين الأوّل في المدرسة اليونانيّة، وعلى يد **المعلِّم الأوّل أرسطو**، إلى أن حطّت رحالها في المدرسة الإسلاميّة وما أحدثته من تغييرات جوهريّة في مباحثها وطرقها الاستدلاليّة، حيث أدخلت مباحث الماهيّة والوجود فيها، وما كان لهذا الأمر من تأثيرٍ كبيرٍ على ثراء مباحثها، خصوصاً على يد **المعلِّم الثاني**

أبي نصر الفارابي وابن سينا ومن تابعهم، إلى أن وصلت إلى أوج عظمتها على يد المعلِّم الثالث السيّد الميرداماد.

ولكن الفلسفة لمَّا دخلت العالم الإسلامي في عصر الترجمة، وخصوصاً بعد ترجمة كُتب المعلِّم الأوّل على يد إسحاق بن حنين، وكانت تتعرّض إلى مباحث تتداخل مع ما يطرحه الدِّين من معارف ومباحث، فقد واجه هذا العلم الرفض من قبل بعض علماء الإسلام وخصوصاً المتكلّمين منهم، وذلك بدعوى أنَّ ما ينتجه البحث الفلسفي يخالف الظهور العرفي لبعض النصوص الشرعيّة، وهناك من بالغ في الردِّ على الفلاسفة وذهب إلى تحريم دراسة الفلسفة وعدَّ كُتبها من كتب الضلال، وقام بتكفير فلاسفة الإسلام والتقوّل عليهم، كما فعل الغزالي في كتابه المعروف بـ "تهافت الفلاسفة".

قال ابن رشد في "فصل المقال": (فما تقول في الفلاسفة من أهل الإسلام، كأبي نصر وابن سينا؟ فإنَّ أبا حامد قد قطع بتكفيرهما في كتابه المعروف التهافت في ثلاث مسائل: في القول بقدم العالم، وبأنَّه تعالى لا يعلم الجزئيات ـ تعالى عن ذلك ـ وفي تأويل ما جاء في حشر الأجساد وأحوال المعاد... وإلى هذا كله فقد نرى أنَّ أبا حامد قد غلط على الحكماء المشّائين بما نسب إليهم، من أنَّهم يقولون إنَّه تقدس وتعالى لا يعلم الجزئيات أصلاً. بل يرون أنَّه تعالى يعلمها بعلم غير مجانس لعلمنا...)[1].

ولا زال هذا العلم يعاني الرفض من قبل البعض، على الرغم ممَّا له من أهمّية بالغة في تكوين معرفة الإنسان ونظرته عن العالم والوجود، وبناء رؤيته الكونيّة وما يترتب عليها من آيديولوجيّات وسلوكيات؛ وذلك

(1) ابن رشد، فصل المقال، ص9 - 11.

لأسباب عديدة لعلَّ أهمّها في الوقت الحاضر هو عدم قبول معطيات بعض المدارس الفلسفيّة، كالقول بوحدة الوجود التي ينتهي إليها أساس(مبنى) أصالة الوجود، الذي ذهبت إليه مدرسة الحكمة المتعالية للملا صدرا دون جمهور الفلاسفة والحكماء المشّائيين؛ لأنَّه يتخالف مع بعض الأمور الشرعيّة المسلَّمة عند الفقهاء، فمن لا يكون من أهل الصناعة لا يعلم أنَّ هناك مدارس واتجاهات فلسفيّة مختلفة لا ينبغي أن يعمِّم الحكم بالرفض عليها جميعاً.

وقد قمنا بتدوين هذا البحث؛ لأجل تسليط الضوء على حقيقة علم الفلسفة، وعلاقتها بالدِّين، وهل أنَّ هناك تعارض بينها وبين الأسس (المباني) الدينيّة، أم أنَّ الأمر بالعكس من ذلك، بل يوجد توائم وتوافق بينهما، ليرتفع اللبس الحاصل، ولعلَّه يرتفع هذا العداء والإقصاء لها من بين العلوم، وما توفيقنا إلَّا بالله عليه توكلنا إنَّه نعمَ النصير.

حقيقة علم الفلسفة

هنا وفي بداية البحث، سنحاول أن نسلّط الضوء على الفلسفة؛ ليتضح ما هو المقصود منها من جهة حقيقتها، وموضوعها والمبادئ التي تعتمد عليها، والمسائل التي يبحث عنها فيها، والمنهج المعتمد في تحقيق مسائلها؛ وذلك لتتشخص الفلسفة في ذهن القارئ بشكلٍ تامٍّ عن غيرها من العلوم، فلا يحصل عنده خلط حين الحكم عليها، فإنَّ الكثير من الاتهامات التي وجهت للفلسفة والفلاسفة ـ وخاصّةً في العصور المتأخّرة ـ كان سببها الخلط الحاصل بينها وبين بعض العلوم التي تشابهها في جهة موضوعها أو بعض مسائلها، **كالعرفان النظري أو علم الكلام**، فلا يفرِّق غير الخبير في ذلك، وخاصّةً بعد أن ظهرت المدارس التلفيقيّة، التي اعتمدت على مناهج معرفيّة مبتدعة لم تتحقق بعد حجّيتها ولم تتحدّد دائرة حجّيتها بشكلٍ واضح ومبرهن، فقط لأنَّها كانت معتمدة في بعض العلوم الأخرى.

فكان انتساب هذه المدارس للفلسفة، أدّى إلى نوع من **الاختلاط بين الفلسفة الواقعيّة بالعرفان والعلم الكلام**، وهذا ما حصل في المدرسة الإشراقيّة ومدرسة الحكمة المتعالية[1]، وخاصّةً بعد هيمنة الحكمة المتعالية على الحوزات العلميّة والمعاهد الفكريّة، فأصبح عندما يقال

(1) انظر: الدكتور أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، الفصل الخامس، ص163 - 177.

(فلسفة) ينصرف الذهن مباشرةً إليها وإلى نتائجها ومتبنياتها، وقد تكون مرفوضة عند البعض، كالقول بوحدة الوجود وما يترتب عليها؛ ولذلك سوف نحاول إعطاء صورة واضحة عن المقصود بالفلسفة، وتميّزها عن غيرها ممَّا قد يختلف عنها أو يخالفها.

تعريف علم الفلسفة

يطلق مصطلح العلم على مجموعة من المسائل، وهي سلسلة مطالب تتعلّق بالبحث عن موضوع معيّن، فيكون ذلك الموضوع هو الجامع لموضوعات تلك المسائل، وتكون إمَّا جزئيات تقع تحته أو أجزاء له، وتشتمل على أحوال ذلك الموضوع الذاتيّة وأحكامه الخاصّة به، أو ما يسمّى بـ (العوارض الذاتيّة لموضوع العلم)، وتسمّى هذه المطالب بمسائل العلم، وعليه إذا أردنا أن نعرّف أيَّ علمٍ، فعلينا أن نحدّد أوّلاً العنوان الكلي الذي تندرج تحته مجموع مسائله، ثمَّ نعرّفه بأنَّه (العلم الباحث عن...)، ونذكر ذلك العنوان الجامع للمسائل.

فعلى سبيل المثال: إذا أردنا تعريف علم النحو وموضوعه الكلمة من حيث البناء والإعراب، نقول: هو العلم الباحث عن العوارض الذاتيّة للكلمة من حيث البناء والإعراب، وعلم الطب وموضوعه بدن الإنسان من حيث الصحّة والمرض، فنقول هو: العلم الباحث عن العوارض الذاتيّة لبدن الإنسان من حيث الصحّة والمرض.

وبناءً على ذلك فقد عُرّف **علم الفلسفة** بأنَّه: (العلم الذي يبحث عن العوارض الذاتيّة للموجود من حيث هو موجود)[1].

---

(1) انظر: ابن سينا، إلهيات الشفاء، ص14 - 15، السيد محمد حسين الطباطبائي، بداية الحكمة، ص6، وغيرها من كتب الفلسفة.

بيان وتوضيح: إنَّ الإنسان عندما يوجد على هذه الأرض يجد بالبداهة لنفسه واقعية، بمعنى أنَّ وجوده أمر واقعي وليس هو وهم وخيال، فلو لم تكن أنفسنا وما نعبّر عنه بـ (أنا) موجودة واقعاً، فكيف يمكن لنا أن ننكر أو نشكّك بوجود الواقع الخارجي إذا كنّا نفعل ذلك؛ ولأجل هذا الأمر الواضح بالبداهة، كان حتّى مثل **جورج بركلي**[1] حينما أنكر الواقع

---

(1) جورج بركلي (George Berkeley) (1685 ـ 1753)، فيلسوف إيرلندي من أصل إنكليزي، ولد في كيلكني Kilkenny بإيرلندة، وتلقى علومه الأولى في مدرسة الدوق أورموند بكيلكني (Ducke of Ormond chool)، درس الرياضيات واللغة والفلسفة، واطّلع على آراء لوك التجريبيّة في دبلن (1700 ـ 1704)، في كلية التثليث التي عُيّن فيها سنة (1707) زميلاً لعدّة سنوات، انتقل إلى لندن سنة (1713) واعظاً لكنيسة اللورد بيتر بورو (Peter Borough)، وتجوّل في بعض أنحاء أوروبا: فرنسا وإيطاليا وصقلية ـ في سنوات (1716 ـ 1720)، عاد بعدها إلى لندن فدبلن سنة (1721)، حيث واصل عمله في كلية التثليث، ثمَّ عاد إلى إيرلندة سنة (1734)، وصار أسقفاً لكنيسة كلوين Cloin حتى سنة (1752). غادر بعدها إلى أكسفورد حيث وافته المنية.

يُعدّ بركلي أحد ممثلي النزعة التجريبيّة، ومؤسّساً للفلسفة المثاليّة الذاتيّة (idealism subjective) في القرن الثامن عشر، يصوغها ضمن إطار نظريّاته اللامادّية (immaterialism) التي تجمع في آنٍ واحد بين المثاليّة والتجريبيّة (empiricism)، وبين اللامادّية والحسّ المشترك (common sense)، وبين المثاليّة (الذاتيّة) والواقعيّة الإبستيمولوجيّة، ليطرح نظريّة في المعرفة تستمد قوامها من آراء معاصريه هوبز وبيكون ولوك، فتجعل من التجربة مصدراً للمعرفة، وتنكر آراء سابقيه: ديكارت، وأفلاطوني كامبردج، حول وجود أفكار فطريّة أو معرفة قَبْلية.

وعلى تأثره بأفكار لوك فإنَّه عارض ميتافيزيقيته ونظرته الميكانيكيّة للعالم، وعارض أفكار نيوتن الرياضيّة، ونظريّته عن المكان المطلق والجاذبية، وكذلك نظريّة ليبتنز عن القوّة وحساب اللامتناهيات، التي تعزو حركة الأجسام المادّية إلى عللها الطبيعيّة، في حين يردها بركلي إلى جوهر روحي نشيط وفعّال، هو الله.

وترتكز نظريّة بركلي على مبدأ يوحّد الوجود مع الإدراك الحسّي، ويربط حقلي الإبستيمولوجيّة (pistemology) والأنطولوجيّة (ontology)، فتقرّر أنَّ (وجود الشيء هو إدراكه). الموسوعة العربيّة، ج4، العلوم الإنسانيّة، الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد، بركلي (جورج).

المادّي الخارجي، لم ينكر وجود ذاته ولا الصور العلميّة التي يدركها؛ باعتبار أنَّ نظريّته تعتمد على أنَّ وجود الشيء وواقعيته هو إدراكه، ولعلَّ السرّ هو أنَّ ذلك لبداهة العلم بوجود النفس لكونه من العلوم الحضوريّة المباشرة التي لا تعتمد على توسط آلة.

كما أنَّ هناك حقائق وواقعيات وراء نفس الإنسان، له أن يدركها ويدرك واقعيتها، حتّى وإن لم يكن يعلمها بالعلم الوجداني الحضوري، والشاهد على واقعيتها هو الفعل والانفعال المتبادل بينها وبين النفس، فلا يطلب الإنسان شيئاً من الأشياء ولا يقصده إلَّا لأنَّه يؤمن في قرارة نفسه أنَّه هو ذلك الشيء في الواقع، فإنَّ العطشان حينما يطلب الماء إنَّما يطلبه لأنَّه يعلم أنَّه شيء حقيقي وواقعي، وأنَّه سوف يؤثر في نفسه بأن يرفع عنه العطش، وإلَّا لو لم يكن كذلك، فلماذا يتحرّك نحوه ويشربه؟! وكذلك لا يخاف ويهرب من شيء كالأسد مثلاً إلَّا لكونه هو ذلك الشيء في الحقيقة، وإلَّا لماذا يهرب منه؟! وكذلك الإنسان يتصدّى لما يريد إيذاءه لعلمه بأنَّ ذلك المؤذي موجود واقعي وهو قادر على ردّه، وإلَّا لو كان مجرَّد وهم وخيال فلماذا يتصدّى له ويدافع عن نفسه؟!

إنَّ الشعور بالحاجة إلى شيء أو الخوف من شيءٍ أو التألم من شيءٍ، وهذه الأمور مدركة لدى الإنسان بوجدانه وبعلمه الحضوري الغير قابل للإنكار والتكذيب إلَّا من مكابر أو مريض، وكلُّ هذا يبعث النفس بعقلها الفطري على أن تُسائِل عن علَّته، إذ إنَّها تؤمن بضرورة أن يكون له علَّة، ومن الواضح أنَّ علَّته ليست من داخل النفس؛ حيث إنَّه يبحث عنها داخل نفسه فلا يجدها، فلا بُدَّ أن تكون له علَّة وأسباب واقية خارج النفس.

ولكن ربَّما يخطأ الإنسان في نظره وتقديره، فقد يعتقد بأمورٍ ليس لها أيُّ واقعٍ كالحظ والبخت والغول والعنقاء، أو ربَّما اعتقد أنَّ ما هو حقّ واقع في الخارج أنَّه باطل ووهم، كالنفس المجرَّدة والعقل المجرَّد، وعالم القدس الإلهي، وربَّما كان هناك من يؤمن بوجود الإله ولكنه ينعته بنعوت لا تصح ولا تناسب جلال مقامه تعالى، ككونه جسم أو في مكان أو جهة أو أنَّه قابل للإبصار، وغير ذلك.

ولمَّا ثبت وجود الواقع الخارجي، وأنَّ الإنسان قادر على إدراك هذا الواقع والوصول إليه بالجملة، احتاج الإنسان بحكم ما لديه من ميلٍ فطري نحو التعرّف على الأشياء، وبحكم حاجته على التعرّف والتمييز بين ما هو واقع وما هو وهم وخيال، ليبني نظرته عن الكون ومبدئه ومنتهاه، وبحكم أنَّه يريد التعرّف على الطبيعة لأجل أن يستغلها بنحوٍ صحيحٍ ومثمرٍ لخدمته، احتاج بحكم ذلك لعلمٍ يقوم بهذا الدور، بحيث يبحث عن الموجودات من حيثية وجودها، **وعلم الفلسفة هو العلم الذي يقوم بهذا الدور**، حيث إنَّه العلم الذي يبحث عن العوارض الذاتيّة، أي الأحكام الخاصّة بالموجودات من حيث هي موجودة لا من حيثية أخرى.

موضوع علم الفلسفة

يظهر ممَّا تقدَّم إنَّ موضوع علم الفلسفة هو: (**الموجود من حيث هو موجود**)[1]، فكلُّ ما يقع تحت هذا العنوان العام الشامل فهو داخل في البحث الفلسفي، ولكن يكون البحث في الفلسفة عن الموجود من جهة كليّة، أي عمَّا تشترك فيه الموجودات من أحكام من حيثية وجودها، لا أنَّ

(1) انظر: ابن سينا، الإلهيات من الشفاء، ص13.

البحث يقع عن كلِّ واحدٍ واحد من الموجودات في هذا العلم، بل يقع البحث عنها بهذا الشكل في العلوم التي تقع تحت علم الفلسفة، كالعلوم الطبيعيّة، مثل: الفيزياء، والكيمياء، وعلم الأحياء، والطب، وغيرها، وكالعلوم الرياضيّة، مثل: الحساب، والهندسة، والهيئة، وغيرها.

إنَّ عنوان (الموجود) عنوان عام، يشمل جميع موضوعات العلوم الحكميّة[1]، وهي تلك العلوم التي تبحث عن موضوعات حقيقيّة، أي تكون موضوعاتها موجودة لا باختيارنا، وليس لنا دخل في وجودها وتحققها كالجمادات والأشجار والحيوانات، وكذلك موجودات عالم الغيب (عالم التجرّد)، وتسمّى **بالحكمة النظريّة**، وتقع في قبال العلوم الاعتباريّة التي تكون موضوعاتها موجودة باختيارنا، أي نحن الذين نوجد تلك الموضوعات ونحققها، كعلوم اللغة، والأخلاق، والقانون، والفقه، والسياسة.

والعلوم الحقيقيّة عبارة عن الطبيعيات والرياضيات والمنطقيات، وما يقع تحتها من علوم، ففي هذه العلوم لا يبحث عن إثبات وجود موضوعاتها ولا عن علل وجودها ولا عن حقيقة تلك الموضوعات، فالعلم الطبيعي هو العلم الذي يبحث عن الجسم من حيث الحركة والسكون، ولا يبحث فيه عن الجسم من حيث هو موجود، ولا من حيث كونه جوهراً أو أنَّ وجوده الخارجي متقوّم بالمادّة والصورة، والعلم الرياضي موضوعه الكم ويبحث عن الأحوال التي تعرض له بعد وجوده وتحققه، وكذا المنطق وموضوعه المفاهيم الثانوية المنطقيّة من حيث دخولها في اكتساب العلم

(1) ولمن يريد الاطّلاع بنحوٍ أوسع يمكنه أن يراجع شرح وتعليقة صدر المتألهين على إلهيات الشفاء للشيخ الرئيس ابن سينا، ج1، ص35، الفصل الثاني، (في تحصيل موضوع هذا العلم).

التصوّري والعلم التصديقي، فكلُّ هذه العلوم وما يقع تحتها من علوم لا يبحث فيها عن موضوعاتها من جهة وجودها وحيثية وجودها وعلل وجودها ومقوّماته، ولا عن حقيقتها، لأنَّ هذه الأمور تعتبر مبادئ في تلك العلوم، والعلم لا يبحث عن مبادئه، فلا بدَّ أن يكون البحث عنها في علمٍ آخر يكون أعلى وأسبق من هذه العلوم؛ ولذلك كانت تلك الأبحاث على عهدة علم الفلسفة.

كما أنَّ هناك أموراً عرضية ليس لها ما بإزاء في الخارج، بل يكون وجودها هو وجود موضوعاتها، أي أنَّها ليس لها وجود متشخّص في الخارج، بل لها منشأ انتزاع في الخارج، وهي أيضاً موجودة لا باختيارنا، وهي مشتركة بين العلوم، كالوحدة والكثرة، والعلَّة والمعلول، والإمكان والوجوب، والقوَّة والفعل، والقدم والحدوث، وهو ما يسمّى **بالمفاهيم العامّة الفلسفيّة**، وهي يجب أن تعرف حدودها وطبيعة وجودها وتحققها لدى النفس بأن تنتزعها عن الموجودات، ولا يتكفل واحد من العلوم الجزئيّة بالبحث عنها من تلك الجهة وإلَّا لكانت مختصّة به، فيقع البحث عنها أيضاً في الفلسفة.

وكلا هذين القسمين ـ الذين ذكرناهما ممَّا يشمله موضوع الفلسفة، ويقع البحث عنهما في الفلسفة ـ ينفعان في تحقيق وبناء العلوم كما هو واضح.

هذا، وهناك قسم آخر يقع تحت هذا الموضوع هو أشرف وأعلى ممَّا سبق، وأهم للإنسان، وهو المبادئ العليا للموجودات المعلولة، ويقع البحث فيه عن عالم التجرَّد الذي يشمل العلَّة الأولى وهي الوجود الواجب تعالى وتقدس، ومراتب صدور الموجودات المجرَّدة من العقول والنفوس،

ومعادها، والبحث المهم فيه هو ما يتعلّق بالوجود الواجبي تعالى وتقدس، وما يخصّه من أحكام، كإثبات وجوده ووحدته وصفاته وأفعاله، وهو يدخل في صميم عقيدة الإنسان وما يحمله من نظرة عن عالم الوجود والإنسان، وهنا في هذا القسم بالذات يحصل الالتقاء بشكلٍ واضح فيه بين الفلسفة من جهة، والدِّين من جهةٍ أخرى في الجانب العقدي منه كما هو واضح.

مبادئ علم الفلسفة

مبادئ كلِّ علمٍ هي مجموعة من المفاهيم والقضايا، يُبتدأ بها ويعتمد عليها في تحقيق مسائل ذلك العلم، حيث يبتني عليها اكتساب العلم التصوّري والتصديقي في ذلك العلم في بدء الأمر؛ وعليه لا بُدَّ أن تكون تلك المفاهيم واضحة المعاني، وتلك القضايا ثابتة الصدق ومسلَّم بها عند صاحب الصناعة قبل الدخول في تحقيق مسائل صناعته؛ لأنَّ البدء بتحقيق مسائل أيِّ صناعةٍ أو علمٍ لا بُدَّ وأن يعتمد على مادّة معيّنة معدة لأن تبتني عليها تلك المسائل، سواء على مستوى العلم التصوّري أو التصديقي، وكون المبادئ واضحة ومسلَّم بها، إمَّا لوضوحها في نفسها، أو لأنَّها مُبيَّنة في صناعةٍ وعلمٍ آخر غير هذه الصناعة، فلا يمكن تحصيل علم جديد لم يكن لدى النفس إلَّا بواسطة أمور معلومة لديها سلفاً، قال **المعلِّم الأوّل أرسطو طاليس**: (كلُّ تعليمٍ وكلُّ تعلّمٍ ذهني إنَّما يكون من معرفة متقدّمة الوجود)[1].

وتلك المبادئ لا بُدَّ أن يكون منها ما هو تصوّري يبتني عليها العلم التصوّري المطلوب في ذلك العلم، ومنها تصديقي يبتني عليها العلم

(1) أرسطو طاليس، كتاب البرهان من منطق أرسطو، تحقيق وتقديم: د. فريد جبر، ص425.

التصديقي المطلوب فيه، ومن الواضح جدّاً ـ بعد معرفة دور المبادئ في بناء العلم ـ أنَّ رصانة أيِّ علمٍ واستحكامه رهن رصانة مبادئه واستحكامها.

وأمَّا بالنسبة إلى علم الفلسفة، فلمَّا كان موضوعه ـ وهو الموجود المطلق من حيث هو موجود ـ أعمّ موضوعات العلوم، كان هو العلم الأعلى، بحيث لا يقع فوقه علم، فكان من حقّ هذا العلم أن يتقدّم على العلوم كلها في الواقع والرتبة.

إلَّا أنَّه من جهتنا وعجز النفوس البشريّة، فإنَّه قد يتأخر عن بعض العلوم الأخرى، فبناءً على المدخل الذي دخله المعلِّم الأوّل ـ أرسطو طاليس ـ لإثبات المبدأ، وذلك عن طريق النظر في الحركة في عالم المحسوسات، وأنَّ كلَّ متحرّكٍ يحتاج إلى محرّك غيره، حتّى ينتهي إلى المحرّك الذي لا يتحرّك، والذي يكون هو المبدأ لكلِّ الحركات في هذا العالم، فكان دخوله إلى عالم الغيب من طريق علم الطبيعيات، والبحث في المحسوسات.

ولكن الفلاسفة المسلمين ـ كالمعلِّم الثاني الفارابي والشيخ الرئيس[1] ومن جاء بعدهم ـ دخلو من مدخلٍ آخر لا يعتمد على الطبيعيات ولا الحركة، **ويبدأ من النظر في الموجود**، وتقسيمه بحسب العقل إلى الواجب والممكن، وهو طريق يعتمد على مقدمات عقليّة كليّة، تثبت الواجب وكونه مبدأً للكلِّ وعلّةً أولى لكلِّ الأشياء، وتثبت صفاته وأفعاله، ومبادئ هذا المدخل لا تبحث ولا تثبت في علمٍ آخر، بل هي من الأمور البديهيّة الواضحة، فمثلاً

(1) انظر: ابن سينا، الإلهيات من كتاب الشفاء، مراجعة وتصدير: د. إبراهيم بيومي مدكور، ص21، وكان ممَّا قاله: (إنَّ لنا سبيلاً إلى إثبات المبدأ الأوّل لا من طريق الاستدلال من الأمور المحسوسة، بل من طريق مقدمات كليّة عقليّة توجب للموجود مبدأ واجب الوجود وتمنع أن يكون متغيراً أو متكثراً في جهة .....).

في التصوّرات فإنَّ مثل مفهوم الموجود والشيء وأقسامها الأولى كالواجب والممكن والواحد والكثير وغيرها، بديهيّة أو قريبة من البديهيّة؛ بحيث ترتسم معانيها في النفس من دون الحاجة لأن تُعرف بمفاهيم أخرى.

وفي التصديقات فهو يعتمد على القضايا البديهيّة وعلى رأسها أولى القضايا بالتصديق وما ينتهي إليها صدق كلِّ قضيةٍ عند التحليل، وهي قضية استحالة اجتماع النقيضين، وكذلك أصل العلّية والسنخية البديهيان، وبطلان الدور والتسلسل.

نعم، قد تحتاج بعض المطالب التفصيليّة فيه إلى أصول مأخوذة من العلوم الأخرى، كالطبيعيات وعلم الهيئة والفلك؛ وذلك لقصور الطبيعة العاقلة البشريّة عن سلوك هذا الطريق الذي هو سلوك من العلّة إلى المعلول ومن المفيض إلى الصوادر، إلّا في بعض مراتب الموجودات لا جميعها بنحوٍ مفصّلٍ؛ ولذلك قد يضطر إلى الاستعانة بمثل تلك المقدّمات.

مسائل علم الفلسفة

تنقسم مسائل علم الفلسفة إلى عدّة أقسام: منها ما يبحث عن الأسباب الأولى للموجود من حيث هو موجود، ويبحث فيه عن السبب الأوّل لكلِّ موجودٍ، من حيث إثبات وجوده ووحدانيته، وعن صفاته وأفعاله.

ومنها ما يبحث عن الموجودات الإمكانيّة وخصائصها من حيث هي موجودة، والتي يكون قسم منها مبادئ للعلوم الأخرى، كحقيقة الجسم الذي هو موضوع الطبيعيات وما يقع تحتها من علوم، أو الكم الذي هو موضوع الرياضيات وما يقع تحتها من علوم، حيث إنَّ مبادئ كلِّ علمٍ أخصّ تبحث في العلم الأعلى، فإنَّ كلَّ ما تقدَّم يعتبر كالأقسام أو الأنواع للموجود بما هو موجود، فهي من عوارض الموجود الذاتيّة.

ومنها ما يبحث عن العوارض العامّة للموجود من حيث هو موجود، وهي المفاهيم العامّة المشتركة بين العلوم، كالوجوب والإمكان والعلّية والمعلوليّة والوحدة والكثرة، والتي تحكي عن نحو وجود الموجود المتصف بها.

منهجيّة البحث في الفلسفة

اختلفت المدارس الفكريّة ـ التي سعت إلى كشف الواقع ـ في المنهج المعرفي الذي تستعمله اختلافاً كبيراً، وبحسب استقراء الواقع توجد ست مدارس، إذا اعتمدنا على المنهج المعرفي المستخدم لذلك، نمرُّ عليها مروراً سريعاً، ليتضح للقارئ الكريم المدرسة الفلسفيّة التي نعنيها في بحثنا هذا بشكلٍ واضحٍ ومتميّزٍ عن غيرها:

الأولى: المدرسة التجريبيّة، وهي المدرسة التي اعتمدت التجربة الحسّية كأداة معرفيّة وحيدة في كشف الواقع، ومعرفة الظواهر الكونيّة. وقامت بإقصاء واستبعاد كلّ ما لا يمكن مشاهدته أو إخضاعه للتجربة، وكان ظهورها على الواقع الفكري مع بدايات القرن السابع عشر الميلادي، حيث ظهر **فرنسيس بيكون**[1] في بريطانيا مكرّساً كلّ جهوده في نقض المنطق

---

(1) فرانسيس بيكون (Francis Bacon) (1561-1626)، فيلسوف وعالم حقوقي وأديب إنكليزي، ولد في لندن، وكان والده نيكولاس (Nicholas) حامل أختام الملكة، وخاله لورد بُرلي (Burghley) الوزير الأوّل في بلاط الملكة إليزابيث الأولى، درس الحقوق في جامعة كمبردج، وانتخب عام (1584) لمجلس العموم، وعُيّن عام (1598) مستشاراً للملكة.
وصار في عام (1607) محامياً عاماً ثمّ نائباً عاماً، ثمّ حمل كوالده لقب حامل أختام الملك عام (1617). هوى فجأة من قمة مجده حين اتهم بالرشوة عام (1621)، وسجن لذلك مدة وجيزة، وجرّد من وظائفه العامّة ومنع من دخول لندن والبلاط، فقضى بقية عمره في العمل الفلسفي والأدبي وتوفي في لندن.
لم يكن بيكون أبرز سياسي عصره فحسب، بل كان أيضاً أبرز مفكّريه وكتّابه، إذ كتب في ـ

العقلي وطريقة التعليم المدرسي الأرسطي، وترسيخ المنهج الحسّي التجريبي، والبحث عن ظواهر الأشياء وكيفياتها المحسوسة لا غير، بهدف تسخير الطبيعة لمنفعة الإنسان والتسلّط عليها في هذه الحياة الدنيا.

ثمَّ جاء من بعده **جون لوك**[1]، حيث تبنى المنهج الحسّي التجريبي

← الفلسفة والأدب والعلوم. وكانت في ذهنه أفكار تهدف إلى إصلاح المعرفة الإنسانيّة وتطويرها تطويراً جذريّاً، وعنوان أحد مؤلّفاته التجديد العظيم (1623) (Instauration Magna)، الذي كان ترجمةً لاتينيّة عن الإنكليزية لعمله الكبير تقدم المعرفة (1605) (Advancement of Learning)، يشي بهذا المخطط الكبير الذي كان يساوره ويتعرّض فيه إلى دور الميتافيزيقا (علم ما وراء الطبيعة) في منهجيّة البحث العلمي. وقد طوّر هذه الأفكار في كتابه الأداة الجديدة (1620) (Novum Organum)، الذي أظهر فيه تمرّداً على الفكر والفلسفة الأرسطوطالية وطريقة الاستقراء في البحث العلمي، فكان يرى أنَّ المعرفة تبدأ بالتجربة الحسّية التي تعمل على إثرائها بالملاحظات الدقيقة والتجارب العمليّة... الموسوعة العربيّة، ج5، اللغات و آدابها، الآداب اللاتينيّة، بيكون فرانسيس.

(1) جون لوك (John Locke) (1632-1704) م، فيلسوف إنكليزي وأحد أبرز رواد الفكر الحديث، وصاحب نظريّة تربويّة ومذهب فلسفي جمع فيه الاتجاهين التجريبي (empirical) والعقلاني (rational). ولد في مدينة رينغتون (Wrington) بإنكلترا، لأب بيوريتاني (puritan) ثري كان يحمل الاسم ذاته، ويعمل بالمحاماة، وتُوفِّي في مدينة أواتس (Oates). درس جون لوك في مدرسة وستمنستر (Westminster)، ثمَّ في أوكسفورد (Oxford)، وأصبح فيما بعد أستاذاً جامعيّاً، وأسهم في العديد من الدراسات والآراء حول السياسة والحكم وعلم النفس والتربية، كما اهتمّ بعلم الفلك والعلوم التجريبيّة خاصّةً الكيمياء، قبل أن يتحوّل إلى الطب، ويصبح واحداً من أمهر أطباء عصره. غادر وطنه إنكلترا عام (1683) إلى هولندا لأسباب سياسيّة، ثمَّ عاد إليه بعد قيام ثورة (1688) فيه.
كان لوك فيلسوف تجريبي حسّي، ومن أكبر أعماله هو مقال عن الفهم الإنساني الذي يشرح فيه نظريّته حول الوظائف التي يؤديها العقل (الذهن) عند التعرّف على العالم. اشتهر جون لوك زعيم الحسّيين بعبارته المشهورة: "إذا سألك سائل:متى بدأت تفكر؟ فيجب أن تكون الإجابة:عندما بدأت أحسّ". ←

كمنهجٍ علميٍّ وحيد، وكان أكثر تطرّفاً في نقد القياس الأرسطي ومبادئه البديهيّة.

الثانية: المدرسة الأخباريّة، وهي المدرسة التي تعتمد على الظهور العرفي للنصوص الدينيّة في بناء الرؤية الكونيّة وكشف الواقع، ويُعرَف هذا الاتجاه أيضاً بمدرسة أهل الحديث أو المدرسة السلفيّة في عصرنا الحاضر، وهي غير منحصرة بالدِّين الإسلامي، بل لها جذور في الديانات القديمة ولا سيِّما اليهوديّة والمسيحيّة منها.

وكلُّ مسألةٍ لا يجدون لها حلّاً بحسب هذا المنهج، كانوا ينهون الناس عن السؤال عنها والبحث فيها، قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكاً فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. كيف استوى؟ فسكت مالك حتّى علاه الرحضاء، ثمَّ قال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإنِّي لأظنك ضالاً. أخرجوه. فناداه الرجل: يا أبا عبد الله، والله لقد سألت عنها أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت له[1].

← لقد سلّم لوك بعجز العقل البشري وقصوره عن معالجة ما يتجاوز حدوده وإمكانياته وقد وضّح ذلك في معظم كتبه ولا سيّما كتابه (مقال في الفهم الإنساني) وكتابه (عن العقل البشري) وخلاصتهما: إنَّ العقيدة السائدة قبل لوك هي أنَّ العقل البشري يشتمل على بعض الأفكار الفطريّة الموروثة منذ الولادة دون أن يكتسبها العقل من التجارب التي تمرّ به أثناء الحياة ولقد بلغ من رسوخ هذا المذهب في نفوس أنَّه لم يكن يستهدف حتى لمجرَّد البحث والجدل.

أمَّا لوك فيقابل هذا التسليم بوجود الآراء الفطرية بأشدّ الإنكار، ويقول في ذلك: "إنَّها (أي الأفكار الفطرية) ليست مطبوعة على العقل بطبيعتها؛ لأنَّها ليست معرفة بالنسبة للأطفال والبلهاء وغيرهم..."، الموسوعة العربيّة، التربية والفنون، التربية وعلم النفس، ج17، جون لوك.

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص107.

الثالثة: المدرسة الكلاميّة: ظهرت المدرسة الكلاميّة بشكلٍ واضحٍ وواسع بعد توسّع الفتوحات الإسلاميّة، واختلاط الحضارات والثقافات الإنسانيّة، وبدء حركة الترجمة للكتب العلميّة والفلسفيّة ولا سيّما اليونانيّة منها، حيث توجّه الكثير من المسلمين لدراسة هذه الكتب والاطّلاع عليها، الأمر الذي أدّى إلى فتح أبواب المدارس العلميّة والدينيّة أمام البحث العلمي المتنوّع والعميق، وهذه المدرسة ترى أنَّ التمسّك بظواهر النصوص الدينيّة حقّ وصحيح في نفسه، في مجال استنباط العقائد بالنسبة لكلِّ إنسانٍ، ولكن في مجال البحوث العلميّة والمناظرة مع الآخرين، فلا بُدَّ من استخدام العلوم الأخرى وخاصّةً المنطق الأرسطي، من أجل إثبات تلك العقائد التي استنبطت من النصوص الدينيّة والدفاع عنها أمام الآخرين، وكان على رأس هذا الاتجاه الأشاعرة والمعتزلة.

وقد تطوّر علم الكلام في القرن الخامس والسادس الهجري من قبل أمثال الغزالي والرازي، ووصل إلى ذروته في القرن الثامن على أيدي أمثال الشهرستاني والإيجي والتفتازاني، فاستعملت الأدلة العقليّة لإثبات الأُسس(المباني) الدينيّة وتحقيقها، وتحكيمها في قبال شبهات وإشكالات المخالفين، حتّى أضحى علم الكلام شبيهاً بالفلسفة في أغلب أبوابه ومسائله.

الرابعة: المدرسة الصوفيّة، وتعتمد هذه المدرسة على قلب الإنسان كأداة معرفيّة وحيدة في كشف الحقائق، ويبدو من كلماتهم أنَّ المقصود بالقلب عندهم هو عين جوهر النفس الناطقة المجرَّدة عن المادّة في مقام الذات، والمتعلّقة بالبدن عن طريق قواها المتعدّدة.

وترى هذه المدرسة أنَّ قلب الإنسان ـ بما أنَّه من سنخ عالم الغيب والمجرَّدات ـ مرآة صافية تحمل الاستعداد التام لإشراق العلوم الغيبيّة

عليها لولا الموانع والحجب التي لحقتها بعد تعلّقها بالبدن، وهذه الحجب ليست إلّا التعلّقات النفسانيّة بعالم المادّة ومبادئها الحسّية والخياليّة، ويمكن التخلّص من ذلك عن طريق السلوك والتصفية العملية للنفس الإنسانيّة عن كلّ ما يشغلها عن التوجّه إلى الله تعالى.

والقوّة العقليّة التفكيريّة عندهم عاجزة في نفسها عن الوصول إلى حقائق الأشياء، ومنازعة من قبل القوّة الوهميّة والخياليّة، بالإضافة إلى أنَّ كثرة استعمالها يعدّ من أكبر الشواغل والموانع للإنسان عن السلوك العرفاني الصحيح. وأمَّا استعمالهم للأدلة العقليّة في مقام الإثبات العلمي فليس من باب الإيمان بها، بل من باب الاحتجاج بها على خصومهم؛ لإلزامهم بصحّة مطالبهم.

يقول **الشيخ محيي الدين بن عربي**: (قد نبّهتك على أمرٍ عظيم لتعرف لماذا يرجع علم العقلاء من حيث أفكارهم، ويتبيّن لك أنَّ العلم الصحيح لا يعطيه الفكر ولا ما قرّرته العقلاء من حيث أفكارهم، وأنَّ العلم الصحيح إنَّما هو ما يقذفه الله في قلب العالم وهو نور إلهي، يختصّ الله به من يشاء من عباده من ملك ورسول ونبيّ وولي ومؤمن، ومن لا كشف له لا علم له)[1].

الخامسة: المدرسة التلفيقيّة، وهي المدرسة التي تستعمل أكثر من منهج معرفي وتلفّق بينها في الكشف عن الواقع، والمعروف منها مدرستان، هما:

ألف: المدرسة الإشراقيّة: ورائدها الفيلسوف شهاب الدين السهروردي صاحب حكمة الإشراق، وتعتمد هذه المدرسة على المنهج العقلي البرهاني

(1) الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي: ج1، ص218.

والمنهج الكشفي العرفاني، وهم يعتبرون طريق الكشف أهم ومقدَّم على البرهان العقلي، قال السهروردي في مقدِّمة كتابه "حكمة الإشراق": (أكتب لكم كتاباً، أذكر فيه ما حصل لي بالذوق في خلواتي ومنازلاتي)[1]، أي ما حصل له من المكاشفات العرفانيّة بالسلوك، ثمَّ قال أيضاً في بيان لزوم تقدم السلوك والكشف العرفاني على طريق البحث في فهم كتابه: (وأقل درجات قارئ هذا الكتاب أن يكون قد ورد عليه البارق الإلهي وصار وروده ملكة له، وغيره لا ينتفع به أصلاً، فمن أراد البحث وحده، فعليه بطريقة المشّائين، فإنَّها حسنة للبحث وحده، محكمة)[2].

ثمَّ أكّد على ضرورة بناء البحث الفلسفي على الكشف العرفاني بقوله: (وكما أنّا شاهدنا المحسوسات، وتيقنا بعض أحوالها ثمَّ بنينا عليها علوماً صحيحة ـ كالهيئة وغيرها ـ فكذا نشاهد من الروحانيات أشياء، ثمَّ نبني عليها، ومن ليس هذا سبيله فليس من الحكمة في شيء، وستلعب به الشكوك) [3].

باء: **مدرسة الحكمة المتعالية**: ويعتبر الفيلسوف المتألّه صدر الدين الشيرازي المعروف بـ (ملا صدرا) هو المؤسّس لهذه المدرسة والمشيِّد لأركانها، وقد اعتمد في مدرسته الجديدة على ثلاثة مناهج معرفيّة لكشف الواقع، هي: (المنهج العقلي البرهاني) و(المنهج الديني الكلامي) و(المنهج الصوفي العرفاني) أو كما يقال: (البرهان والقرآن والعرفان)، وقد اعتبر هذه المناهج الثلاث قنوات معرفيّة مستقلة تكشف عن حقيقة واحدة،

(1) مجموع مصنّفات شيخ الإشراق: ج2، ص90.

(2) نفس المصدر: ج2، ص12.

(3) نفس المصدر: 13.

وإنَّ الحقَّ هو ما تطابقت على كشفه هذه القنوات الثلاثة، مع تقديمه المنهج العرفاني على الجميع، وتعظيمه له.

قال في كتاب "**مفاتيح الغيب**": (إنَّ كثيراً من المنتسبين إلى العلم ينكرون العلم الغيبي اللدني الذي يعتمد عليه السلّاك والعرفاء، وهو أقوى وأحكم من سائر العلوم) [1].

وقال فى مقدِّمة كتابه "**الأسفار**": (وليعلم أنَّ معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة، ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقاه العامي أو الفقيه وراثةً وتلقناً، فإنَّ المشغوف بالتقليد والجمود على الصورة لم ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح للكرام الإلهيين، ولا يتمثل له ما ينكشف للعارفين... ولا ما هو طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحسين المرام، كما هو عادة المتكلِّم، وليس أيضاً هو مجرَّد البحث كما هو دأب أهل النظر، وغاية أصحاب المباحثة والفكر، فإنَّ جميعها ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذف في قلب المؤمن بسبب اتصاله بعالم القدس والطهارة)[2].

السادسة: المدرسة العقليَّة البرهانيَّة، وهي مدرسة جمهور الفلاسفة والحكماء، التي بدأت من المعلم الأوّل أرسطو طاليس مروراً بالفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا والطوسي ووصولاً إلى السيّد الداماد، وتعتمد هذه المدرسة على المنهج العقلي البرهاني وحده بالذات في كشف الواقع والوصول إلى الحقيقة.

---

(1) مفاتيح الغيب، الملا صدرا، ص142.

(2) الأسفار العقليّة، الملا صدرا، ج1، ص11.

وما نريد الحديث عنه هنا في هذا البحث هو هذه المدرسة وهذا المنهج بالذات، وسنحاول بيان معالم هذا المنهج بصورةٍ مختصرة؛ ليتّضح المقصود للقارئ الكريم.

المنهج العقلي البرهاني

إنَّ الباحث عن العلم بالواقع كما هو، إذا أراد أن يصل مبتغاه بطريقٍ صحيحٍ ومأمون، فعليه أن يبدأ من نقطة الشك المطلق في كلِّ ما يحيط به، بحيث لا يكون لديه مسلَّمات قبليّة أخذها من بيئته أو مجتمعه، ثمَّ يشرع في التفكير فيخطو أوّل خطوة، والتي تتعلّق بإثبات أصل وجود الواقع الخارجي، حيث إنَّه وقبل إثبات وجود الواقع لا معنى للبحث عنه بأيِّ نحوٍ من الأنحاء، ثمَّ يأتي البحث الثاني وهو: هل يمكن العلم بهذا الواقع الخارجي، أو لا يمكن؟

ولكن يبقى السؤال المهم هنا هو: كيف يمكن لنا إثبات أصل الواقع؟ وهل فيه قابلية العلم به؟ ولأجل الجواب عن هذا، فإنَّه ليس أمام الإنسان ليخطو هاتين المرحلتين إلَّا المعارف التي يجدها مركوزة في نفسه من دون أن يتلقاها من أحد، ويجد أنَّها بيّنة واضحة الصدق عنده لا تحتاج إلى أن يثبتها، ولا يجد للشكِّ طريقاً إليها، وهذه المعارف هي ما تسمّى بالبديهيات، ولولاها لما أمكن للإنسان أن يبني علومه بشكلٍ مستدلٍّ ومنطقي من حيث الأساس، حيث إنَّها تشكّل رأس مال الإنسان العلمي لينطلق من خلالها لتحصيل العلوم وزيادة رصيده منها.

وهي لا تختصّ بفردٍ من أفراد الإنسان دون فردٍ آخر، بل هي عامّة يجدها كلَّ أبناء البشر عندهم، ولعلَّها قد تختفي عن الإنسان فيحتاج إلى ما ينبّهه

إليها، وبمجرَّد الالتفات إليها يحصل له القطع بها بصورةٍ مباشرة، وعلى رأس هذه المعارف هي قضية استحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، ، والذي يحاول أن يشكك في مثل هذه القضية فهو: إمَّا أنَّه لم يحصل له تصوّر صحيح لأجزائها، أي للمحمول والموضوع فيها، أو أنَّه لا يعرف ما هو المقصود بالتناقض وشرائطه، فقد يخلط بينه وبين التضادّ أو غيره، أو قد يتصوّره من خلال أمثلة غير صحيحة كما وقع لبعض مفكّري الغرب ومَن تبعهم، وإمَّا أنَّه معاند غرضه المماراة والتفوّق على الآخرين أو غير ذلك من الأمراض النفسيّة، أو لأنَّه قد وقع في الحيرة بسبب أنَّ الأدلة التي عنده قد أدّت إلى نتائج متناقضة وهو غير قادر أن يرد على بعضها ويتبنى البعض الآخر، فيبقى على شكٍّ في أيٍّ من النتيجتين هي الحقّ.

ثمَّ عليه بعد ذلك أن يكتشف قوانين التفكير الصحيح؛ وذلك بتشريح عمل الذهن ومعرفة الخطوات التي يقوم بها عند حصول عملية التفكير، واكتشاف المواضع التي يمكن أن يقع فيها الخطأ في عملية التفكير، ومن ثَمَّ اكتشاف ووضع القوانين لعملية التفكير؛ بحيث يتجنب من خلالها الوقوع في الخطأ في هذه العملية، ثمَّ يبحث عن المنهج المعرفي الصحيح الذي يمكن من خلاله ضمان التعرّف على الواقع بنحوٍ صحيح وثابت.

والمنهج العقلي البرهاني هو المنهج الذي يمكن الاعتماد عليه في ذلك، لأجل أنَّه يتمتع بالخصائص التالية:

الأولى: إنَّ هذا المنهج له حجّية ذاتيّة؛ لأنَّه يعتمد في مراحله الاستنتاجيّة والكشفيّة الأولى على القضايا البديهيّة التي يكون التصديق بها مباشراً وذاتياً، فلا تحتاج في إثبات صدقها إلَّا إلى توجّه النفس إليها

وتصوّر طرفيها والنسبة بينهما، أو ما يرجع إلى تلك القضايا البديهيّة، وكذلك يستخدم صوراً قياسيّة بديهيّة الإنتاج كالشكل الأوّل من أشكال القياس، أو ما يرجع إليها أيضاً، ثمَّ يبني على النتائج المستحصلة من ذلك صعوداً في البناء الفكري والمعرفي؛ ولذلك كان القياس البرهاني يفيد اليقين.

الثانية: كما أنَّه يفيد اليقين، فكذلك يفيد الثبات والمطابقة للواقع؛ وذلك لأنَّ من شرائطه أن يكون الحدُّ الأوسط فيه بالإضافة إلى كونه واسطة في الإثبات العلمي، أي في ثبوت الأكبر للأصغر، فهو أيضاً واسطة في الثبوت، أي الواقع، بمعنى كون الحدُّ الأوسط علَّة واقعيّة لثبوت الأكبر للأصغر، كما نقول مثلاً: هذه الحديدة حارة، وكلُّ حارٍ متمدّد، فهذه الحديدة متمدّدة، فنلاحظ أنَّ الحرارة، كما أنَّها كانت واسطة في الإثبات والمقام العلمي، كذلك هي علَّة واقعيّة خارجة لتمدّد الحديدة.

وهذا معنى قول الحكماء: **(إنَّ ذوات الأسباب لا تعلم إلَّا بأسبابها)**، وإنَّ البرهان هو الذي يفيد العلم بالأشياء من أسبابها الذاتيّة، وبناءً على ذلك فاليقين البرهاني ثابت؛ لامتناع انفكاك العلَّة التامة عن معلولها، وهو كذلك مطلق، أي غير نسبي؛ لأنَّه لم تحصل نتيجته بالذوق والاستحسان، بل بنحوٍ موضوعي واقعي[1].

الثالثة: إنَّ هذا المنهج له ميزان موضوعي، لكلِّ أحدٍ أن يتعلمه، ويتمكن من خلاله أن يحاكم النتائج التي تنتج عنه ويعرف صحتها من سقمها، وهي القواعد المنطقيّة والشرائط التي اكتشفها ودوّنها المناطقة له، وهي قواعد موضوعيّة ليست ذوقيّة ولا استحسانيّة.

(1) انظر: د. أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص185 - 186.

لا بُدَّ من الالتفات إنّا إذا قلنا بأنَّ المنهج العقلي البرهاني حجّة وكاشف عن الواقع بنحوٍ قطعي ودائم وثابت، فإنَّ هذا لا يعني أنَّه يكشف عن جميع الأمور التي يتعلّق بها البحث وفي أيِّ أمرٍ كان، بل إنَّ حجّيته لها دائرة وحدود معيّنة، على طالب الحقِّ عدم تجاوزها والخروج عليها، وإلَّا فسوف يقع في الخطأ والجهل، وهنا لا بُدَّ من الالتفات إلى أمورٍ:

الأوّل: إنَّ مَن يقوم بعملية الحكم وإثبات شيءٍ لشيءٍ أو نفيه عنه في الأحكام الحملية، أو إثبات التلازم أو التعاند أو نفيهما في القضايا الشرطية، هو العقل بمعناه العام، سواء أكان بنحوٍ برهاني أم غير برهاني، فالعقل هو الحاكم الوحيد من قوى الإنسان، ولكن حكمه تارةً يكون بنفسه، كما لو قلنا: واجب الوجود لا جسم له، وتارةً يكون بالاستعانة بالأدوات المعرفيّة الأخرى كالحسِّ، كما لو قلنا: الشمس مشرقة، أو التجربة، كما لو قلنا: الأسبرين يهدّئ الصداع، أو الوحي، كما لو قلنا: الصلاة واجبة.

وتارةً تكون أحكامه قطعيّة وأخرى ظنيّة، وهذا الاختلاف في الأحكام التي يصدرها العقل يرجع إلى اختلاف المقدّمات(المبادئ) التي يعتمد عليها العقل في إثبات تلك الأحكام.

الثاني: إنَّ مَن يقوم بتحديد حدود العقل ودائرة حجّيته هو العقل نفسه؛ وذلك لمَّا تبيّن من أنَّ العقل هو الحاكم، إمَّا بنفسه أو بالاستعانة بالأدوات المعرفيّة الأخرى، ولمَّا كان العقل البرهاني هو أشرف وأحكم مراتب العقل في الأحكام الصادرة عنه، كان هو الحاكم في هذه المسألة، فإنَّ المفضول لا يحكم الفاضل ولا يحدّد حدوده.

ولا بُدَّ من التنبّه إلى أنَّ الحدود التي يجعلها العقل لحجّيته ودائرة

كاشفيته عن الواقع، ليست حدوداً اعتباريّة وتوافقيّة أو تصالحيّة، أو حدوداً راجعة للمزاج والذوق، بل هي حدود واقعيّة تكوينيّة، بمعنى أنَّ العقل يضع تلك الحدود في المنطقة التي يكتشف من نفسه أنَّه عاجز عن اكتشافها وإصدار الحكم في موضعها، وهو قادر على تحديد تلك المناطق، بحسب الضوابط التي وضعت له في علم المنطق، فكلُّ بقعةٍ في عالم المعرفة لا تتوفر فيها تلك الضوابط يجد العقل نفسه عاجزاً عن كشفها أو الحكم فيها.

الثالث: إنَّ الموضوعات الخارجة عن دائرة الحكم العقلي البرهاني، هي:

ألف: الموضوعات الاعتباريّة التشريعيّة، التي يكون وجودها وشرائطها بيد المعتبر لها، كالأحكام الشرعيّة مثل: الصلاة، والحج، وغيرها، وكذلك القوانين الوضعيّة، حيث تكون ملاكاتها والمصالح التي جعلت على أساسها غير معلومة للعقل، حيث إنَّه لا يكون قادر على اكتشافها إلَّا من قبل نفس المعتبر لها، وهذا لا يعني أنَّ ملاكاتها لا تكون واقعيّة ونفس أمريّة، بل قد تكون كذلك كما في الأحكام الشرعيّة، حيث إنَّ كلَّ حكمٍ شرعي جعل إمَّا على طبق مصلحة واقعيّة كما في الوجوب، أو مفسدة واقعيّة كما في الحرمة، وهكذا.

باء: **الموضوعات الشخصيّة المتغيّرة**، حيث إنَّها تكون متغيّرة دائماً مع الزمان وتكون أحكامها متغيّرة تبعاً لذلك، والحكم العقلي يشترط فيه الثبات، نعم يمكن للعقل أن يحكم عليها بعرض طبائعها الكليّة الثابتة لها؛ لأنَّ الشخص مركّب في الواقع من الطبيعة الكليّة الثابتة، والعوارض الشخصيّة الغريبة والمتغيّرة، فمثلاً إذا حكم العقل البرهاني على الطبيعة الإنسانيّة بحكمٍ كلي، ككون الإنسان ناطقاً وجوباً، أو كونه حجراً

بالامتناع، أو كونه أبيض بالإمكان، فإنَّ هذه الأحكام الكليّة تسري إلى أفرادها الخارجيّة ـ كزيد وعمرو ـ بالضرورة العقليّة، إلَّا أنّها مع ذلك لا تدخل في العلوم البرهانيّة؛ لأنَّ الغاية من تلك العلوم دائماً هو الوصول إلى أحكام وقوانين كليّة[1].

الغاية والمنفعة من دراسة الفلسفة العقلية

إنَّ العلوم جميعاً تشترك في منفعةٍ واحدة عامّة، وهي كونها كمال للنفس الإنسانيّة؛ حيث إنَّها ترفع نقصاً عنها هو الجهل بموضوع معيّن، والفلسفة من هذه الجهة لها نفع عظيم، هو معرفة الموجودات على ما هي عليه في الواقع ونفس الأمر، وتميّز الأشياء التي نتصورها هل هي حقيقيّة وواقعيّة أم أنَّها وهميّة أو اعتباريّة، ومعرفة علل الأشياء الواقعيّة وإلى أين تنتهي تلك العلل، وذلك يساعد الإنسان في بناء رؤية كونيّة صحيحة وواقعيّة، مبنية على قضايا وقواعد مقطوع بها وبمطابقتها للواقع، بعيداً عن الأوهام العرفيّة، والخرافات العاميّة.

فهي تؤمِّن الجانب النظري من جوانب المعرفة البشريّة، وهو ما يسمّى بالرؤية الكونيّة، وهي تعبّر عن رؤية الإنسان عن الوجود بجميع جوانبه من حيث حقيقته ومبدأه ومنتهاه وما بينهما، وهي تعبّر باختصارٍ عن الإجابة عن الأسئلة الثلاث التالية: (من أين، وفي أين، وإلى أين؟)، وللإجابة عن هذه الأسئلة بنحوٍ يقيني وثابت أهمّية كبيرة جدّاً في حياة الإنسان، فلا

(1) من يريد الاطّلاع أكثر على هذا المنهج، فعليه بالرجوع لصناعة البرهان في كتب المنطق، أو مراجعة الكتب المعرفيّة، ومن أهمّها كتاب أستاذنا الدكتور أيمن المصري (أصول المعرفة والمنهج العقلي)؛ فإنَّه بيّن هذا المنهج بنحوٍ مبرهن وواضح وسلس.

يكاد ينكرها عاقل، وكذلك أرشد الشرع المقدّس إلى أهمّيتها، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**رحم الله امرءاً، علم من أين، وفي أين، وإلى أين؟**»[1].

فمن الواضح أنَّ تحديد إجابات دقيقة عن هذه الأسئلة له أهمّية كبرى في حياة الإنسان، ليس على المستوى النظري للفكر فحسب ـ بأن تجعل الإنسان واقعي، حيث يحمل فكراً مطابقاً للواقع على ما هو عليه بعيداً عن الخرافات والأوهام ـ بل لها تأثير مباشر وقوي في تحديد طبيعة الجانب الآخر من جوانب الفكر الإنساني، وهو الجانب العملي، أو ما يمكن التعبير عنه بالجانب (**الآيديولوجي**)، الذي يهتمُّ بالبحث عن القواعد العامّة التي تضبط سلوك الإنسان وفعله الاختياري في هذه الحياة، ومن جميع الجوانب الفرديّة والاجتماعيّة والعباديّة والاقتصاديّة والسياسيّة وغيرها، ولا شكَّ أنَّ هذا الجانب يترتب على ضوء ما يختاره الإنسان من رؤية كونيّة، فمن يختار رؤية كونيّة إلهيّة تؤمن بوجود خالق للكون يرجع إليه الناس بعد رحيلهم عن هذه الحياة، يكون سلوكه العملي منسجماً معها، ومعتمداً على التشريعات الإلهيّة، ومتأثراً بالبيان الشرعي للثواب والعقاب على الأعمال المختلفة، ويتحمل كثيراً من المصاعب وفوات الكثير من المصالح الدنيويّة له؛ ليحظى برضى خالقه والثواب عنده، وأمَّا من يختار رؤية كونيّة مادّية تحدّد حياة الإنسان بهذه الحياة، فإنَّه أيضاً سيبني الجانب العملي لحياته مع ما ينسجم مع تلك الرؤية في تأمين مصالحه وكمالاته المادّية لا غير.

---

(1) محمد ري شهري، العلم والحكمة في الكتاب والسُنّة، ص281.

تبيّن ممَّا تقدَّم بنحوٍ كلي أهمّية الفلسفة في حياة الإنسان، حيث إنَّها تعبّر عن الجانب الأهم من جوانب الرقي الإنساني، ولعلَّ الأصح أن نقول: إنَّه الأساس الذي تعتمد عليه كلُّ جوانب الرقي تلك، حيث إنَّنا لو نظرنا إلى أيِّ شيءٍ وأردنا تقييمه بشكلٍ صحيح، فإننا لا بُدَّ أن نتوجّه إلى ما يختصّ به ذلك الشيء دون غيره؛ لنرى كيف يكون فيه، فمثلاً لو نظرنا إلى شجرة التفاح وأردنا أن نقيمها، فلا بُدَّ أن ننظر إلى ما تختصّ به عن بقية الأشجار الأخرى، وهو إنتاجها لثمرة التفاح، فلو كانت الثمرة التي تنتجها تحتوي على صفات الكمال الممكنة لتلك الثمرة، فإننا سوف نحكم عليها بأنَّها شجرة جيّدة نحتفظ بها ونحافظ عليها، ولا نقيّمها أبداً على أساس ما تشترك به مع بقية الأشجار كالخشب أو الأوراق، فإنَّ هناك ما هو أفضل منها بكثير من هذا الجانب؛ ولذلك نلاحظ أنَّها لو كانت لا تنتج ثمرة التفاح أو تنتجها بنحوٍ رديء، فإنَّا نحكم عليها بإنَّها رديئة ونزهد بها ونقتلعها؛ لنزرع مكانها شجرةً مفيدةً أخرى.

وأمَّا بالنسبة للإنسان، فإنَّ ما يمتاز به عن بقية الحيوانات هو قوَّته العاقلة التي صار بها سيّداً في الأرض، فتفعيل هذه القوَّة هو ملاك فضل الإنسان وتفضيله، وهذا هو مقتضى العقل والشرع معاً، قال **مسكويه**: (وإذا كانت القوى ثلاثاً كما قلنا مراراً فأدونها النفس البهيميّة، وأوسطها النفس السبعيّة، وأشرفها النفس الناطقة، والإنسان إنَّما صار إنساناً بأفضل هذه النفوس ـ أعني الناطقة ـ وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم، فأشرف الناس من كان حظه من هذه النفس أكثر وانصرافه إليها أتمّ وأوفر، ومن غلبت عليه إحدى النفسين الأُخريين انحطَّ عن مرتبة

الإنسانيّة بحسب غلبة تلك النفس عليه.

فانظر رحمك الله! أين تضع نفسك، وأين تحبّ أن تنزل من المنازل التي رتّبها الله تعالى للموجودات؟ فإنَّ هذا أمر موكول إليك ومردود إلى اختيارك، فإن شئت فانزل في منازل البهائم فإنَّك تكون منهم، وإن شئت فانزل في منازل السباع، وإن شئت فانزل في منازل الملائكة وكن منهم، وفي كلِّ واحدةٍ من هذه المراتب مقامات كثيرة...)[1].

ولعلَّ كلامه هذا مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم**»[2].

فحيث كان التفكير هو العمل الذي يقوم به العقل ومقتضى النفس الناطقة في الإنسان، فهو أهم عمل يصدر عنه وبه يتميَّز عن غيره من المخلوقات، وحيث كان التفكير العقلي البرهاني أشرف أنواع التفكير كما تقدَّم بيانه، كان أشرف عمل يقوم به الإنسان.

والتفكير الفلسفي لمَّا كان متعلّقاً بالموجود من حيثية وجوده، والبحث عن علله الأولى وخاصّةً واجب الوجود وصفاته وأفعاله، والتي منها بعث الأنبياء وتنصيب الأئمّة لهداية الناس، كان التفكير الفلسفي أرقى وأشرف أنواع التفكير، فهو من حيث الكيفيّة أرقى أنواع التفكير، ومن حيث الموضوع والمتعلّق فهو متعلّق بأشرف موضوع كما هو واضح.

---

(1) مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص22 - 23.

(2) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص4.

فالتفكير الفلسفي له أهمّية كبرى في حياة الإنسان لأنَّه متعلّق بتحديد العقيدة التي يحملها، وبالتالي ما يترتب عليه من جوانب عمليّة وآيديولوجيّة، فحينما يواجه الإنسان التيارات الفكريّة والدينيّة والمذهبيّة والعقائديّة الكثيرة والمتباينة ليس له وسيلة لتحديد الصحيح من الفاسد منها إلَّا العقل؛ لأنَّه هو الأداة التي ثبتت حجّيتها بنحوٍ ذاتي ولم تحتج إلى غيرها في ذلك، بل غيرها تحتاج إليها.

حقيقة الدِّين

أصل مادّة (دين) في اللغة تستعمل بعدّة معاني، قال **الجوهري** في "الصحاح" (الدَّين: واحد الديون، تقول: دنت الرجل أقرضته، فهو مدين ومديون، ودان فلان يدين ديناً... والدِّين بالكسر: العادة والشأن... ودانه ديناً، أي: أذله واستعبده... والدّين: الجزاء والمكافأة. يقال: دانه دينا، أي جازاه. يقال: كما تدين تدان... والدِّين: الطاعة، ودان له، أي: أطاعه... ومنه الدِّين، والجمع الأديان. يقال: دان بكذا ديانة وتديّن به، فهو دين ومتديّن...)[1].

واصطلاحاً هو: الطريقة والشريعة، قال **العلَّامة الحلِّي**: (والدّين: لغة: الجزاء، ومنه قول النبيّ: «**كما تدين تدان**»، واصطلاحاً: وهو الطريقة، والشريعة)[2].

ولكن يظهر من الاستعمالات القرآنيّة أنَّ الدِّين له معنى أعمّ من الشريعة، يقول **العلَّامة الطباطبائي**: (الظاهر من القرآن أنَّه يستعمل الشريعة في معنى أخص من الدِّين كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**﴾ آل عمران: 19، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ**

(1) الجوهري، الصحاح، ج5، ص2117 - 2119.

(2) العلَّامة الحلِّي، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر، ص 16.

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران: 85، إذا انضمّا إلى قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ الجاثية: 18، فكأنَّ الشريعة هي الطريقة الممهِّدة لأمّةٍ من الأمم أو لنبيٍّ من الأنبياء الذين بعثوا بها، كشريعة نوح وشريعة إبراهيم وشريعة موسى وشريعة عيسى وشريعة محمّد ﷺ، والدِّين هو: السُنّة والطريقة الإلهيّة العامّة لجميع الأمم، فالشريعة تقبل النسخ دون الدِّين بمعناه الوسيع)[1].

والمعارف الدينيّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة، هي: العقائد، والأحكام الشرعيّة، والتعاليم الأخلاقيّة.

الغاية من بعث الأنبياء والأديان السماوية

إنَّ الهدف الأساس والغاية القصوى من وراء بعث الأنبياء هو هداية البشر، وإيصالهم إلى الكمال اللائق بهم، والسعادة الدائمة في الحياة الدنيا والآخرة، وكلُّ ما مارسه الأنبياء وأوصيائهم من مهام وأدوار إنَّما هي تقع في طريق هذه الغاية الأساسيّة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

(1) العلّامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج5، ص350.

الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وقد بيّنا سابقاً أنَّ العقل البرهاني له حدود يقف عندها يعجز عن الكشف التفصيلي خارجها، فهناك منطقة فراغ يتركها العقل ولا يستطيع ملأها، وهذه المنطقة مهمّة جدّاً في هداية الإنسان، وتشمل جزئيات العقيدة، كتعيين شخص النبيّ أو شخص الإمام بعد النبيّ، فالعقل يكتشف مثلاً ضرورة تعيين معصوم بعد النبيّ ليقوم بدوره، ولكنه لا يستطيع أن يحدّد من هو هذا الشخص، فنحتاج إلى من يرشدنا إلى شخصه، كما أنَّ العقل يدرك مثلاً ضرورة حصول المعاد وإثابة المطيع والمحسن، ومعاقبة العاصي والمسيء، لكنه لا يدرك طبيعة الثواب ولا العقاب ولا ما يحصل هناك للإنسان إلَّا بنحوٍ كلي، فهو لا يعلم شيئاً عن الصراط ومنازل الجنّة، وحفر النيران، وما شابه ذلك.

وكذلك التعاليم الأخلاقيّة، والأحكام الشرعيّة التفصيليّة، التي تحدّد سلوك الإنسان في هذه الحياة، لا يستطيع أن يضعها بشكلها الصحيح والموصل للغاية، إلَّا مَن خلق الإنسان وعلم خفاياه ومزاياه بنحوٍ مفصّلٍ، ونقاط ضعفه وقوّته، فالعقل البرهاني مثلاً يدرك بذاته حسن العدل وقبح الظلم، ولكنه لا يستطيع الوصول والكشف عن مصاديقها، التي كشفت وبيّنتها الأحكام الشرعيّة والتعاليم الأخلاقيّة بنحوٍ مفصّلٍ، سواء في باب العبادات أو المعاملات، على المستوى سلوك الإنسان الفردي كما في علاقته مع الله سبحانه، أو على مستوى السلوك الاجتماعي وعلاقة الإنسان مع أبناء نوعه وبقية الموجودات.

(1) النساء: 163 - 165.

فالعقل البرهاني يدرك وجوب طاعة المولى ووجوب شكره وهو وجوب عقلي لا شرعي، ولكنه يجهل بالكيفية التفصيليّة للوصل إلى الله سبحانه والسلوك إليه، ولا يعلم كيف يطيعه ويعبده؛ ولذلك فقد مسّت حاجة الإنسان إلى الوحي والنبوّة، وقد لبّى الله تعالى هذه الحاجة بمقتضى عدله ولطفه وحكمته.

(فالوحي الإلهي المقدّس ما جاء إلّا لملء هذه المنطقة الواسعة، فالدِّين يبدأ دوره في الحركة المعرفيّة التكامليّة للإنسان من حيث يتوقف العقل البرهاني، لا قبل ذلك؛ للزوم تحصيل الحاصل، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾[1]، أي ما ليس من شأنك أن تعلمه بعقلك وحده.

والعقل البرهاني بعد أن أثبت وجود مبدأ إلهي حكيم قدير لطيف خبير، وعرف من ذاته عجزه عن ملء هذه المنطقة الواسعة التي يحتاج إليها في تكامله، أدرك بمقتضى الحكمة والعناية الإلهيّة لهذا المبدأ الحكيم، ضرورة إرسال الرسل المعصومين وإنزال الكتب السماويّة؛ لهداية الإنسان إلى طريق الكمال والقرب الإلهي، وذلك بالمعارف الجزئيّة التفصيليّة والأحكام الشرعيّة والتعاليم الأخلاقيّة الاعتباريّة بالمعنى الذي بيّناه، التي لها الأثر الواقعي الكبير في التكامل الحقيقي للإنسان)[2].

المنهج المتبع في الخطاب الديني

إنَّ الخطاب الدِّيني يتمثّل بشكلٍ أساس بآيات القرآن الكريم الصادرة عن الله سبحانه وتعالى، والكلام الصادر عن المعصومين عليهم السلام والذي يسمّى

---

(1) النساء: 113.

(2) أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص199.

بالسُنّة.

وقد تقدَّم أنَّ الغرض الأساس لبعث الأنبياء هو تحقيق الهداية الإلهيّة الدينيّة لجميع الناس، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾[1]، وليست هي متعلقة بشريحة معيّنة أو مستوى علمي معيّن؛ ولذلك استخدمت الخطابات الشرعيّة منهجاً برهانياً بمستواه الفطري الواضح تارةً، وتارةً المنهج الإقناعي الخطابي، وتارةً المنهج الجدلي، على حسب ما علّمه القرآن للنبيّ الأكرم، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

قال الميرزا **أبو الحسن الشعراني**: (الجدل لقوم والبرهان لقوم والخطابة لقوم، كما قال الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ يعني بالبرهان (والموعظة الحسنة) يعني الخطابة ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، والمناسب للعاقل المنصف أن يتعلم الدِّين وأصول العقائد بالأدلة المبتنية على اليقينيات، وهي الأوليات والمشاهدات والتجربيات والحدسيات والمتواترات وقضايا قياساتها معها، وانحصارها في هذه الست بالاستقراء، والمناسب لردِّ الخصوم التمسّك بالمشهورات والمسلَّمات، ولغالب الناس من العوام الخطابة إذ ليسوا خصماءحتّى يجادل معهم، ولا مسلَّمات لديهم وليسوا مستعدين لفهم الدلائل البرهانيّة إلَّا في ما لا بُدَّ منه من إثبات الواجب والنبوَّة بالأوليات والمتواترات والحدسيات التي يفهمها جميع الناس...)[3].

---

(1) البقرة: 185.

(2) النحل: 125.

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ج5، هامش ص101.

والمفروض بالخطابات الدينيّة أن يفهمها كلُّ من عرف اللغة التي تكلمت بها تلك الخطابات، فكان لا بُدَّ أن يكون الخطاب الشرعي وفهمه عرفياً، كما أجمع عليه علماء أصول الفقه، وقد ورد عن النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»[1].

فكان الخطاب العام لجميع الناس عرفياً، ويفهم على ضوء القواعد العرفيّة للفهم، وهذا مادوّنه علماء الأصول في مدوّناتهم، هذا وقد استلزم هذا الأمر أن تتنوع الأساليب في مخاطبة الناس:

ففي مجال العقيدة خصوصاً أكثر ما يستعمل الخطابات التي ترشد الناس إلى البراهين البسيطة التي تحرّك عقولهم الفطريّة وتدلهم على طريق الهداية، كما في قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[2].

أو كقصّة الديصاني مع الإمام الصادق عليه السلام وجاء فيها: «**يا جعفر بن محمّد، دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي، فقال له أبو عبد الله: اجلس، وإذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال له أبو عبد الله: ناولني يا غلام البيضة، فناوله إيّاها، فقال له أبو عبد الله: يا ديصاني: هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان**

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص23.

(2) الأنبياء: 21-22.

الطواويس، أترى لها مدبّراً ؟!، قال: فأطرق ملياً، ثمَّ قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً عبده ورسوله، وأنَّك إمام وحجّة من الله على خلقه، وأنا تائب ممَّا كنت فيه»[1].

وليس أسلوب الخطاب الدّيني هو الأسلوب المدرسي المعقّد، بل هو أسوب خطابي مبسّط، قد يستفيد كثيراً من القصص والتمثيلات والاستعارات المجازية من باب تشبيه المعقول بالمحسوس؛ لقصور أكثر الأذهان عن إدراك المعقولات بنحوٍ مباشر، وذلك للوصول إلى الهدف والغاية منه، وهي تحقق الهداية العامّة، كما في قوله تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[2].

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾[3]، وقوله: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ...﴾[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «ما كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنَّا معاشر الأنبياء أمرنا أن

(1) الكليني، الكافي، ج1، ص80.

(2) الرعد: 2.

(3) الفتح: 10.

(4) النور: 35.

نكلّم الناس على قدر عقولهم»[1].

نعم، هناك مضامين عالية للخطابات الدينيّة يفهمها الذين خوطبوا بها، وهم من يقع على عاتقهم تفهيمها للناس وكشفها لهم كالنبيّ والأئمّة من بعده، وليس لبقية الناس تخمينها أو تفسير النصوص على طبق نظريّاتهم الفلسفيّة أو العلميّة التي يتبنونها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[2].

وفي الخبر، عن زيد الشحام، قال: «**دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر** عليه السلام **فقال: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر: بلغني أنَّك تفسِّر القرآن ؟، فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر: بعلمٍ تفسِّره أم بجهلٍ؟ قال: لا بعلمٍ... فقال أبو جعفر: ويحك يا قتادة! إنَّما يعرف القرآن من خوطب به**»[3].

دور الدِّين في حياة الإنسان

أصبح من الواضح جدّاً أهمّية دور الدِّين في حياة الإنسان، حيث إنَّ فيه الإرشاد للعقيدة الصحيحة، واستنهاض للفطرة السليمة، ونبذ الخرافات والأوهام التي كان يعيش فيها الناس، ويؤمِّن التعليمات الأخلاقيّة السلوكيّة والعمليّة المفصّلة، التي يحتاجها الإنسان في حياته اليوميّة؛ ليسير على الطريق الصحيح الذي يؤمن له الكمال والرقي والسعادة في الحياة الدنيا والآخرة.

---

(1) الكليني، الكافي، ج1، ص23.

(2) القيامة: 17 - 19.

(3) الكليني، الكافي، ج8، ص312.

حيث إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بنحوٍ مختلف عن بقية المخلوقات، بحيث إنَّه يكون قابلاً لاكتساب الكمالات بنحوٍ دائم لا يتوقف، وحصول الكمال للإنسان أو ما يقاربه يكون باختيار نفس الإنسان، حيث إنَّ الإنسان مسؤول عن فعله الاختياري وهو موضع المدح والذمّ، وقد ثبت في محله أنَّ الفعل الإختياري له عدّة مبادئ، أوّلها هو حصول الصورة العلميّة عن المصلحة أو المفسدة المترتبة على الفعل في ذهن الإنسان بنحوٍ تفصيلي، ويعجز العقل عن تحديد تلك المصالح بنحوٍ تفصيلي؛ لأنَّها خارجة عن حريمه، لأنَّ أحكامه البرهانيّة لا تكون نتائجها إلَّا كليّة عامّة، فهو مثلاً يدرك أنَّ العدل حسن والظلم قبيح بشكلٍ عام، ولكنه يعجز عن تشخيص العدل ما هو في كلِّ واقعةٍ بعينها؛ ولذلك يحتاج الإنسان إلى مَن يدله على الطريق بنحوٍ تفصيلي، وقد حكم العقل البرهاني على لزوم اتّباع الشرع المقدّس في ذلك، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[1].

دور الدِّين في الحياة الاجتماعية

لا يختلف اثنان في أنَّ الإنسان يعيش على شكل جماعات مؤلَّفة من أفراد نوعه، وهذا الاجتماع يولِّد بشكلٍ طبيعي مشاكل واختلافات بين أبناء الإنسان؛ بسبب اختلاف وتصادم المصالح المختلفة لأفراد المجتمع، وكذلك اختلاف العادات، والاختلاف من حيث القوَّة والضعف بين أفراد الإنسان، وحيث إنَّ الإنسان يريد استخدام كلِّ شيءٍ من أجل

(1) الإنسان: 2 - 3.

مصالحه وما يضمن سعادته، وسيؤدي ذلك إلى الانحراف عمَّا يقتضيه المجتمع الصالح من العدل والمساواة الاجتماعيّة فيستغل القوي الضعيف، كما أنَّ الضعيف سيحاول دائماً أن يستفيد من الحيلة والمكيدة والخديعة للانتقام من ظالمه، وبالجملة إنَّ بروز الاختلاف سيؤدي إلى الهرج والمرج في المجتمع الإنساني، ممَّا يؤدي إلى هلاك الإنسانيّة وبطلان السعادة.

ولأجل ضبط حالة التزاحم والتدافع بين المنافع المختلفة، ولأجل الحفاظ على العدل الاجتماعي، احتاج المجتمع إلى مجموعة من الضوابط التي تحول رعايتها دون الفوضى واضطراب الأمور.

نعم، من البديهي أنَّ تختلف تلك النظم والقوانين بحسب تفاوت المدنية ومقدار تخلّف الأقوام، ومدى اختلاف المستوى الفكري للمجتمعات. غير أنا لا نجد مجتمعاً بمقدوره أن يستغني عن مجموعة من الأنظمة وبأيِّ صيغةٍ من صَيغ الآداب والتقاليد المشتركة.

والدِّين لم يترك هذا الأمر سداً، فقد جاء بمجموعة من الشرائع والقوانين التي تحلّ الخلاف وتضبط المجتمع في سيره التكاملي نحو السعادة المنشودة، وهذا التشريع مبني على أساس التوحيد والاعتقاد والأخلاق والأفعال، وبعبارةٍ أخرى: إنَّ هذا التشريع مبني على أساس تعليم الناس وتعريفهم ما هو حقيقة أمرهم من مبدأهم إلى معادهم، وإنَّهم يجب أن يسلكوا في هذه الدنيا حياة تنفعهم في غدها، ويعملون في عاجل حياتهم ما يعيشون به في آجلها.

ولنا أن نسأل: هل هناك ميزة يتميَّز بها الدِّين والقوانين التي جاء بها عن غيره؛ ليصبح من الضروري على الإنسان ان يلتزم بالدِّين؟ فهل يعجز المجتمع البشري عن مواصلة حياته الإنسانيّة وفق قوانين بشريّة وضعيّة

تحدّد السلوك الإجتماعي للإنسان، فتأخذ تلك القوانين مكان الدِّين بحيث لا تكون هناك ثمّة حاجة إلى الدِّين؟!

ولأجل الإجابة على هذا السؤال، نقدم بعض الكلام عن كيفية عمل وإجراء القوانين الوضعيّة في المجتمع، والفرق بينها وبين كيفية جريان القوانين الشرعيّة الدينيّة في المجتمع أيضاً؛ ليزداد الأمر وضوحاً.

فالطريق الذي سلك فعلاً في تحميل القوانين الوضعيّة وإجرائها في المجتمع، كان يعتمد على نمطين من الإجراء:

الأوّل: الإلجاء، بمعنى إجبار أفراد المجتمع على طاعة القوانين الموضوعة مهما كانت من أجل الوصول إلى اشتراك جميع أفراد المجتمع في حقِّ الحياة وتساويهم في الحقوق، بمعنى أن ينال كلُّ فردٍ ما يليق به من كمال الحياة من دون التفات إلى المعارف الدينيّة كالتوحيد والأخلاق الفاضلة، بأن لا ينظر في تطبيق القانون أو جعله إلى عقيدة التوحيد أصلاً أو إلى الأخلاق التي حثت عليها الديانات السماويّة، فتكون الأخلاق تابعة للاجتماع وتحوّله، فما وافق حال المجتمع يكون هو الخلق الفاضل وحسب الظروف، فيوماً العفّة، ويوماً الخلاعة، ويوماً الصدق، ويوماً الكذب، وهكذا.

إلَّا أنَّ هذا النمط من إجراء القانون واجه عدّة مشاكل؛ لأنَّه يتعارض مع طبع الإنسان وميله نحو الحرّية، فالإنسان عندما يقوم بجميع أعماله بصورة مختاره وحده يشعر دائماً بالحرّية التي لا بُدَّ أن يحظى بها وأن تكون حرّية مطلقة لا يحدها شيء، فالقوانين تكون بمثابة السلسلة التي تقيّده وهو يسعى دائماً لقطع تلك القيود والإفلات منها فيحتال على القانون، فالذين لهم نفوذ في المجتمع ويمتلكون القوّة يخالفون القانون

علناً من دون أيِّ خوفٍ، أو يدفعون الرشوة أو أيّ نوعٍ من التأثير إلى منفّذي القوانين؛ ليسمحوا لهم بالمخالفة.

كذلك الضعفاء يحاولون الاستفادة غفلة أو ضعف منفّذي القوانين وتمرير مخالفاتهم بشكلٍ خفي، الأمر الذي يؤدي إلى اضطراب سير المجتمع.

وهذا الأمر لا ينكره أحد، فأدل دليل على ذلك هو ما يشاهد يومياً من الكثير من التجاوزات على القوانين في المجتمعات البشريّة المختلفة.

الثاني: إدخال عامل الأخلاق وراء القانون، بمعنى تربية المجتمع على مجموعة من الأخلاق تتناسب مع القوانين الوضعيّة مع إعطاء القانون قدسية في نفوس الناس، بحيث يصبح من العيب جدّاً مخالفة القانون، وهذا النمط من الإجراء يسير سيراً موازياً لطريقة الدّين في إجراء القوانين، إلّا أنّه يختلف عنه اختلافاً جوهريّاً، وهو أنَّ هذا النمط من الإجراء يحاول أن يربّي الناس على أساس عقائد واهية وأفكار وهمية، من قبيل ما يلقّن به أفراد تلك المجتمعات من أنّهم لوضحّوا بأنفسهم وحرّياتهم من أجل بلدهم ومجتمعاتهم، فإنَّ أسماءهم سوف تكتب في صفحات التاريخ بحروفٍ من ذهب، وغير ذلك من الحصول على ثناء الناس ورضاهم.

من الواضح جدّاً أنَّ مثل هذه الأخلاق ترجع بالإنسان مرّة أخرى نحو الجهل وعبادة نفسه، أي أنَّ عمله يكون من أجل نفسه وبناء شخصيتها وذكرها، وليس كلُّ الناس على استعداد لأن يضحّوا بأنفسهم من أجل أن يبقى لهم ذكر في التاريخ، وأيُّ عاقلٍ يشتري تمتع غيره بحرمان نفسه من غير أيِّ فائدةٍ عائدة إليه، أو يقدّم الحياة لغيره باختيار الموت لنفسه، وفي

معتقده أنَّ الموت عبارة عن فناء لا حياة بعده ولا جزاء، ثمَّ أنَّ هناك الكثير من الأعمال التي لا بُدَّ أن تعمل بشكلٍ سريٍّ ومن دون اطّلاع الناس عليها، فما هو الحافز على إنجازها والاعتناء بها؟!

هذه الأفكار الخرافيّة وإن كانت تعطي بعض النتائج العمليّة، إذ يمكن أن تؤثر في الإنسان وتحفزه نحو حفظ القانون، إلّا أنَّها تعود عليه بأضرار كثيرة أضعاف ما تحققه من فوائد، حيث تجعل من الإنسان موجوداً يعبد الوهم ويعيش في دائرة الخرافة، ومتى ما انتبه من وهمه هذا انقلب على تلك القوانين.

بالإضافة إلى أنَّها تقتل في الإنسان فطرته وطباعه، فالإنسان الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وينظر للموت على أنَّه فناء وعدم، سوف لا يقيم وزناً للحياة الخالدة، ولن يدرك معنى لمفهوم الحياة ما بعد الموت.

أمَّا الدِّين الصحيح، فقد أسّس السنن والقوانين على أساس من المعرفة الحقيقيّة بكلِّ تفاصيل حقيقة الإنسان ونقاط قوَّته وضعفه، وما ينفع في وصوله للكمال اللائق به وما يقف عائقاً دون ذلك، فالتشريعات الدينيّة تكون مبتنية على منظومة من الأخلاق الإنسانيّة الكريمة، وهذه الأخلاق بدورها تعتمد على عقائد حقّة حقيقيّة، أساسها التوحيد الذي يميل إليه الإنسان بعقله الفطري العام.

ومن البديهي أنَّ الأخلاق إذا اعتمدت على هذه العقيدة، لم يبقَ للإنسان همٌ إلّا مراقبة رضاه تعالى في أعماله، ومحاولة التقرّب منه سبحانه بامتثال أوامره وأحكامه، فتكون التقوى رادعاً داخلياً للإنسان عن ارتكاب الجرم، فالدِّين حدّد للإنسان مسؤوليه إلهيّة تشمل جميع أعماله الفرديّة أو الاجتماعيّة؛ بحيث يصبح الإنسان مسؤولاً عن جميع حركاته

وسكناته أمام الله تعالى.

وما دام الله سبحانه وتعالى محيطاً بالإنسان من جميع جهاته بما له من قدرة وعلم مطلقين، فهو يعرف كلَّ ما في نفس الإنسان من خفايا ونوايا، فبالإضافة إلى جعل القوانين الجزائيّة التي أوكل إجراءها للناس كما هو الحال في النظام الوضعي.

كذلك جعل هناك دافعاً آخر للالتزام أهم وأعظم من الخوف من الجزاء الدنيوي، وهو الجزاء الآخروي المترتب على أعمال الإنسان في الدنيا، فهناك رقيب على الإنسان لا يغفل عنه لحظة يسجّل كلَّ كبيرةٍ وصغيرةٍ، يقول سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1]، ويقول: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

كذلك شمولية الدِّين بجميع جوانب الإنسان المادّية والغريزيّة والروحيّة، فالقوانين الدينيّة صادرة من صانع هذا الإنسان العالم بمواقع ضرره ونفعه، فجميع الأحكام الصادرة منه إنَّما تعبّر عن مصالح أو مفاسد واقعية وراء تلك الأحكام القوانين، يريد الله تعالى من عباده تحصيل تلك المصالح وتجنب المفاسد ليحظى بالسعادة والكمال، كما أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يستفيد شيئاً من تلك القوانين والتشريعات التي يضعها.

أمَّا القانون الوضعي، فهو من وضع البشر الذين ليس لهم من العلم إلَّا المقدار البسيط، وقد خفيت عنهم أمور كثيرة عن حقيقة ومواطن المصلحة والفساد بالنسبة للفرد والمجتمع، فطالما تغيّرت القوانين الوضعيّة نتيجة المشاكل التي تواجهها، والتي لم تكن في حسبان واضعي تلك

(1) الأنفال: 47.

(2) النساء: 1.

القوانين، كما أنَّ الإنسان حينما يضع القانون أو يطبقه يكون واقعاً تحت جدل داخلي يضغط عليه بقوَّة، وهو مراعاة جانب مصلحته الخاصّة أو من يخصونه من أقربائه أو حزبه، بل وحتى بلده كما يلاحظ بشكلٍ واضح في وضع وإجراء القوانين الدوليّة من قبل المسيطرين على منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي.

كذلك ركّز القانون الوضعي على الجانب المادّي من حياة البشر من دون عناية بالمعنويات والغرائز الباطنيّة عند الإنسان، فهنا الهمّ الوحيد هو تنظيم أعمال الناس وحفظ النظام والتوازن؛ بحيث تنتهي إلى صيغة لا تؤدي إلى الاختلاف والصراع.

ومن الطبيعي أنَّ عدم الالتفات إلى طبيعة البشر وميله الشديد نحو الحرّية، وكذلك مئات الغرائز من قبيل: حبّ الذات،والميل إلى الشهرة، والتسلّط على الآخرين، وعدم وضع القوانين التي تربّي وتهذّب هذه الطبيعة؛ لتجعلها طبيعة خيرة، وتحدّ من تلك الغرائز، فإنَّه ستظهر الفوضى والاضطراب في المجتمع؛ بحيث تتزايد الاختلاف يوماً بعد آخر، فالقوانين جميعها مهدّدة بحملات الطغاة والبغاة، الذين تقوى عندهم تلك الغرائز، وتحوّلهم إلى طبائع خبيثة، تسيطر على المجتمعات من غير أن يمكن لقانون أن يردعها أو يحول دون إيقاعها الفساد في المجتمع.

أمَّا الدِّين، فقد تجاوز هذه المرحلة وجاء ليربّي الناس ويوجد الدافع الذاتي فيهم؛ للالتزام بالقوانين والأنظمة والشرائع.

علاقة العقل بالدِّين

توجد هناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين العقل والدِّين، وكلاهما يؤديان دوراً مهماً في بناء المعرفة الإنسانيّة بركنيها المعرفي والآيديولوجي، حيث

إنَّهما يعتبران القناتين المعرفيتين المهمتين للإنسان، وقد أكّدت الشريعة المقدّسة عليهما كثيراً، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام أنَّه قال: «**يا هشام، إنَّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأمَّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة، وأمَّا الباطنة فالعقول**»[1].

فأمَّا دور العقل بالنسبة للدِّين، فهي أننا بالعقل نثبت أصول الدِّين الكليّة، حيث إنَّ ثبوت الدِّين يتوقف على إثبات وجود الخالق للكون، وصفاته وأفعاله، ومنها ضرورة بعث الأنبياء وإرسال الرسل لهداية الناس وإثبات المعجزات لتصديق الرسل و...، وكلُّ ذلك لا يمكن إثباته عن طريق نفس الشرع؛ لأنَّه يلزم الدور في البناء الاستدلالي، فلا بُدَّ من إثباته بشكلٍ قطعي بطريقٍ وأداة معرفيّة أخرى وليس هي إلَّا العقل.

كما أنَّ للعقل دوراً كبيراً في ردِّ الشبهات التي يطرحها المخالفون، والإشكالات التي تعرض لهم، أو حتّى لمعتنقي نفس ذلك الدِّين، فله دور قوي في تثبيت إيمان المؤمنين بالدِّين وتصحيح عقائدهم.

كما أنَّ له دوراً كبيراً في تفسير النصوص الدينيّة، حيث تعتبر معطيات العقل البرهاني قرائن لبِّية عامّة على تلك النصوص، فلا بُدَّ من تفسيرها بما ينسجم مع العقل، فما يرد في النصوص الشرعيّة ويخالف العقل ـ كالنصوص التي يظهر منها إثبات اليد لله تعالى أو باقي الجوارح، وإمكان رؤيته تعالى، والاستواء على العرش، والنزول والصعود، وما شابه ذلك ـ لا بُدَّ من تأويله وحمله على معنىً آخر ينسجم مع العقل من جهة، ومع الاستعمالات العرفيّة اللغويّة وقواعد المجاز والاستعارات من جهةٍ أخرى. كما أنَّ له دوراً كبيراً في استنباط واكتشاف المعارف والعقائد

(1) الكليني، الكافي، ج1، ص16.

التفصيليّة، التي جاء بها الوحي من خلال النصوص الدينيّة، وكذلك الأحكام الأخلاقيّة والسلوكيّة والأحكام العمليّة التفصيليّة.

وأمَّا دور الدِّين، فقد اتضح ممَّا تقدَّم؛ حيث إنَّ له دوراً كبيراً في تنبيه وإرشاد العقل إلى البراهين الفطريّة الدالة على الله وتوحيده وبقية العقائد الأساسيّة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدرة، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع...**»[1].

كما أنَّ للدِّين الدور الكبير والمهم، وهو ملء المنطقة التي يعجز عن إدراكها العقل، وهي منطقة العقائد الجزئيّة، والتعليمات الأخلاقيّة والعمليّة التفصيليّة.

وممَّا يشير إلى هذا الدور المتبادل بين الدِّين والعقل الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلَّا به العقل، الذي جعله الله زينةً لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنَّهم مخلوقون، وأنَّه المدبِّر لهم، وأنَّهم المدبَّرون، وأنَّه الباقي وهم الفانون، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبأنَّ له ولهم خالقاً ومدبِّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأنَّ الظلمة في الجهل، وأنَّ النور في العلم، فهذا ما دلهم عليه العقل.**

قيل له: فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟ قال: إنَّ العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته، علم أنَّ الله هو الحقّ، وأنَّه

(1) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج1، ص24.

هو ربّه، وعلم أنَّ لخالقه محبّة، وأنَّ له كراهية، وأنَّ له طاعة، وأنَّ له معصية، فلم يجد عقله يدله على ذلك، وعلم أنَّه لا يوصل إليه إلَّا بالعلم وطلبه، وأنَّه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلَّا به»[1].

إرشاد الدِّين إلى التفكر الفلسفي

تبيَّن ممَّا سبق أنَّ البحث الفلسفي يتعلّق بالنظر في الموجودات من حيث هي موجودة، ويقودنا البحث عن الموجودات التي نحسُّ بها ويمكن أن نتعامل معها بشكلٍ مباشر، ومن خلال الوقوف على إمكانها وحاجتها في الوجود إلى ما يوجدها، ننطلق إلى إثبات واجب الوجود وهو الغني الذي لا يحتاج إلى أيِّ شيءٍ في ذاته، والذي هو علَّة العلل والخالق المبدع لكلِّ الموجودات الإمكانيّة، وهذا الأمر بعينه قد ندب إليه الشرع المقدّس، حيث أمر الناس بالتفكّر والتدبّر، وهذا واضح في كثير من آيات كتاب الله تبارك وتعالى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2]، وقوله ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3]، وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾[4]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

(1) الكليني، أصول الكافي، ج1، 29.

(2) آل عمران: 190.

(3) الذاريات: 20 - 21.

(4) الأعراف: 185.

* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[1].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنَّه قال: «يا هشام، إنَّ الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيّين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾»[2].

وفي الرواية المتقدِّمة عن الإمام الصادق عليه السلام: «فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنَّهم مخلوقون، وأنَّه المدبِّر لهم، وأنَّهم المدبَّرون، وأنَّه الباقي وهم الفانون، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبأنَّ له ولهم خالقاً ومدبِّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأنَّ الظلمة في الجهل، وأنَّ النور في العلم، فهذا ما دلهم عليه العقل».

النظر العقلي البرهاني أرقى أنواع التفكر

بعد أن تبيَّن أنَّ الشارع المقدّس دعى إلى التفكّر والتدبّر في الموجودات، وليس التفكّر فيها إلَّا استنباط المجهول من المعلوم، والاستدلال بما لدينا من معلومات على ما نجهله، وهذا إنَّما يتمُّ من خلال

(1) الغاشية: 17 - 21.

(2) الكليني، الكافي، ج1، ص13.

ما يسمّى في المنطق بالدليل أو الحجّة، وهي تنقسم إلى القياس والإستقراء والتمثيل، وكان أرقى أنواع الحجج هو القياس البرهاني، وقد تقدَّم الكلام عنه وعن مزاياه، فهو داخل لا محالة، بل هو أوضح مصاديق التفكّر التي دعى إليها الشرع المقدّس.

فإذا كان كذلك، كان يلزم علينا أوّلاً أن ننظر في أنواع القياسات وخصوصاً القياس البرهاني، ومراجعة قواعده وضوابطه وشروطه لنتثبت منها ونتقنها، فإذا كان هناك من تقدَّم علينا بالفحص والنظر في هذا الأمر كان لزاماً علينا النظر في ما دوّنه وسطّره؛ لنستفيد منه وأن يستعين في ذلك المتأخّر بالمتقدّم؛ حتّى تكمل المعرفة به، ولا يمنع ذلك كونه على غير ديننا أو ملتنا، فالعقل وقياساته مشتركة بين جميع أبناء البشر، ولم يختصّ بها إنسان دون آخر، وليس المطلوب هنا أخذ ما أثبته المتقدِّمون على نحو التعبّد والتسليم، بل لا بُدَّ من أخذها بعد النظر فيها والتدقيق، فإن كانت مستجمعة لشرائط الصحة أخذ بها وإلَّا ردّت ولم تقبل.

فدور النظر في القياسات والاستدلالات التي يجمعها علم المنطق، كدور سائر الآلات، وكم من آلة نستعين بها في إنجاز الأمور الشرعيّة وهي ليست ممن صنعها أهل ديننا وملتنا، كآلات السفر والذبح والتنقل ونشر الإسلام الحقّ وغيرها، فعندما نقول إنَّ أرسطو أوّل من دوّن علم المنطق، وإنَّ المنطق سمي باسمه (المنطق الأرسطي)، فليست هذه دعوة لتقليد الرجل ولا أخذ ما أثبته أخذ المسلَّمات، بل دعوة للنظر فيها والاستفادة منها، فإنَّه جهد إنساني بذل في وقته، ولكلِّ إنسانٍ أن يستفيد منه ويطوّره لخدمة الإنسانيّة في الجانب الفكري.

فإذا فرغنا عن ذلك، وأصبحت بأيدينا الآلة التي يمكن أن نركن

إليها في تصحيح قياساتنا العقليّة، أصبح باستطاعتنا أن ننظر في الموجودات ونتأمّل فيها ونحن مطمئنون، ونمشي في خطى المعرفة بخطوات راسخة، وهذا أمر يقرّه العقل والعقلاء في كلّ الصناعات والحرف، فإنَّ مَن لا يعرف آلات النجارة مثلاً أو لا يعرف كيفية استعمالها، لا يمكن أن يكون نجاراً ماهراً، ولا يمكنه التقدّم في صنعة النجارة، وهكذا.

ولهذا فقد ورد المدح الكثير لأصحاب العقول في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2].

وقد وصف العقل بأنَّه حجّة الله كما ورد في بعض الروايات، فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا هشام، إنَّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأمَّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة، وأمَّا الباطنة فالعقول**»[3]، ولا شكّ أنَّ ما يكون حجّة لله، لا بُدَّ أن يكون معصوماً في إدركه للواقع على ما هو عليه.

وروى الأصبغ بن نباته، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال: «**هبط جبرئيل على آدم فقال: يا آدم، إنِّي أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث، فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل، وما الثلاث؟ فقال: العقل، والحياء، والدِّين، فقال آدم: إنِّي قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدِّين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل، إنَّا أمرنا أن نكون مع العقل**

(1) آل عمران: 190.

(2) الزمر: 18.

(3) الكليني، أصول الكافي، ج1، ص16.

حيث كان، قال: فشأنكما وعرج»[1].

إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة.

المقارنة بين دور الدِّين ودور الفلسفة في حياة الإنسان

اتّضح ممَّا تقدَّم أنَّ لكلٍّ من الدِّين وعلم الفلسفة دور مهم في حياة الإنسان، والمهمة الأساسيّة التي يقوم بها الدِّين هو هداية الناس إلى المعتقدات الحقّة، والتي من أهمّها توحيد الخالق جلَّ وعلا، ونبذ الشرك على مختلف ألوانه والخرافات والأوهام، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح الذي عليهم أن يسلكوه في هذه الحياة الدنيا ـ سواء على المستوى الأخلاقي أو السلوكي العملي ـ ليضلوا إلى الكمال اللائق بهم، والسعادة الدائمة في الدنيا والآخرة.

وأمَّا الفلسفة، فدورها هو البحث عن الموجودات من جهة وجودها، وإثبات كلِّ ما يتعلّق بذلك من مسائل، والتي من أهمّها إثبات وجود واجب الوجود وتوحيده وصفاته وأفعاله، وإثبات النبوّة والإمامة وشرائطها ووجوب المعاد، بنحوٍ مدرسي مفصَّل ومعمَّق، وبمنهجٍ عقلي برهاني؛ بحيث يحصل اليقين بالمعنى الأخصّ بها، وهو التصديق اليقيني المطابق للواقع الثابت، لأنَّه يكون عن طريق أسبابه الذاتيّة كما تقدَّم توضيحه، وهذا له أهمّية كبرى في البناء المعرفي الاعتقادي للناس، وتحصينهم عن الشبهات والتشكيكات التي قد تطرأ من هنا أو هناك، فإنَّ من عرف عقيدته على هذا النحو يصعب تسرب الشبهات والشكوك إليه مهما كان مصدرها.

كما أنَّه يثبت كذلك الأسس العقليَّة للأخلاق والسياسة، وما يتفرع

(1) المصدر السابق، ج1، ص 11.

من آيديولوجيات مختلفة، فدور المنهج العقلي الفلسفي يتلخص في بناء وتحصين العقيدة بنحوٍ محكم، وبناء الأُسس (المباني) العقليَّة والأُسس المعرفيّة للعلوم والنظريّات الإنسانيّة والدينيّة.

وبعبارةٍ أخرى: فإنَّ الفلسفة تهدينا إلى الدِّين الصحيح من بين الملل والنحل الباطلة، وإلى المذهب الصحيح من بين المذاهب الفاسدة، حيث يتجلى ملاك الصحة والواقعيّة في مطابقة مبادئ الدِّين والمذهب والقراءة لمبادئ العقل البرهاني، والرؤية الكونيّة الفلسفيّة.

ومن الواضح أنَّ هناك توائم وتكامل بين الدورين، اللذين يقوم بهما كلٌّ من الدِّين والتفكير العقلي الفلسفي بالنسبة للإنسان، ولا يوجد بينهما أيُّ تخالفٍ أو تعارضٍ، بل هو دور تكاملي متجانس.

كما أنَّ كلّاً منهما يصبان في هدفٍ واحد، وهو تكامل الإنسان المعرفي وعلى المستويين النظري (الرؤية الكونيّة) والعملي (الآيديولوجي)، كلُّ ذلك لأجل الترقي بالإنسان وإيصاله إلى القرب الإلهي والسعادة الدائمة في دنياه وآخرته.

نتائج وتوصيات البحث

وبعد أن انتهينا من هذا البحث وذكرنا أهم جوانبه، لا بُدَّ أن ننتهي منه إلى نتائج وتوصيات، نلتمس من القارئ الكريم أن يلتفت إليها ويأخذها بنظر الاعتبار، أهمّها:

أوّلاً: قد تبيَّن من خلال البحث أنَّ التفكير الفلسفي وما ينتجه من معارف، هو نتاج العقل الإنساني الذي وهبه الله له وفضّله به على سائر المخلوقات، وجعله حجّة له على بني الإنسان، وهو ليس حكراً على أحدٍ ولا منسوب لأحد، بل الكلُّ فيه سواء، ولكلِّ إنسانٍ أن يدلي بدلوه فيه، بشرط أن يأتيه من حيث يُؤتى، وذلك بألّا يدخل فيه إلّا بعد إتمام المقدِّمات التي تؤهله لخوض غمار البحث فيه.

وأمَّا نسبته لأرسطو أو لغيره، فليس إلّا لسبقه في تحقيقه واكتشاف قواعده، وليس المقصود هنا أنَّ مَن يأتي بعده يأخذ ما دوّنه أرسطو أخذ المسلَّمات أو التعبّديات، بل لكلِّ إنسانٍ عقله وله النظر فيه وقبول ما يقبله وردُّ ما يرفضه، ولكن بشرط أن يكون القبول والرفض على طبق الميزان المعرفي الصحيح، لا تبعاً لما اشتهر على ألسن الآخرين، أو تبعاً للمزاج والذوق الشخصي.

ثانياً: إنَّ البحث الفلسفي هو صناعة معرفيّة لها آلاتها وأدواتها، وهي

خاضعة لضوابط وقوانين صارمة، وهي قوانين التفكير العقلي الصحيح والمنتج، ومخالفة تلك الضوابط، أو عدم الالتزام بها سوف يؤدي إلى مظنّة الوقوع في الخطأ في الفكر، وما يترتب عليه من سلبيات معرفيّة وسلوكيّة.

كما أنَّه ليس كلّ مَن زاول التنظير في مسائل الفكر، وتفسير حقائق الوجود يسمّى فيلسوفاً بالمعنى الصحيح، بل الفيلسوف هو من طوى مراحل مقدّمات البحث الفلسفي وأتقنها، وأحكم شرائطها، وحصلت له الدربة على ممارسة التفكير المنطقي.

ثالثاً: ينبغي للإنسان الذي يريد أن يكون من المتخصّصين في الأبحاث الاعتقاديّة ويتصدّى لتحقيقها والدفاع عنها، وخصوصاً في أبحاث التوحيد، أن يخوض غمار البحث الفلسفي العقلي أوّلاً مع مقدّماته؛ ليقف على ما يؤدي إليه النظر العقلي الدقيق في هذا الشأن، وأن يكون مطّلعاً بنحوٍ معتد به على نتاجات المدارس الفلسفيّة المختلفة في هذا الأمر.

وأمَّا مَن يريد أن يكتفي بما يحقّق له الإيمان والنجاة والفوز بالجنّة، فله أن يكتفي بما ترشد إليه النصوص الشرعيّة من براهين فطريّة سهلة، ليحصل له اليقين من عقائده التي يحملها.

رابعاً: إنَّ كلّاً من العقل والوحي (المعارف الدينيّة) له دوره المهم في تقويم الإنسان عقائديّاً وفكريّاً وسلوكيّاً، فالهدف النهائي واحد وهو إيصال الإنسان إلى الكمال والسعادة، ولكن يوجد اختلاف بينهما في المرتبة والمنهج؛ حيث إنَّ الدِّين الذي يرشد إليه العقل جاء لهداية جميع الناس وعلى مختلف مستوياتهم، ولذلك ركّزت الخطابات الدينيّة على مخاطبة فطرة الإنسان، ونفض التراب عنها، بينما كانت الفلسفة للبحث المعمَّق البرهاني حول الموجودات من حيث وجودها، فكانت تخصّ فئة معيّنة، وهم

أصحاب العقول الحادة والنظر الثاقب.

خامساً: إنَّ التفكيرالفلسفي العقلي هو الطريق الصحيح الذي يمكن لنا الاعتماد عليه في تعيين الدِّين الصحيح والمذهب الحقّ، بين هذا الركام الهائل من الملل والنحل والقراءات المختلفة، وهذا معنى أصالة العقل والفلسفة، وتقدّمهما على الدِّين والمذهب.

فهرس المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيِّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، شرح الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة بيروت.

1 ـ **أصول الكافي**، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صحّحه وعلّق عليه عليّ أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة.

2 ـ **أصول المعرفة والمنهج العقلي**، الدكتور أيمن المصري، دار البيضاء ـ بيروت.

3 ـ **إلهيات الشفاء**، ابن سينا، مراجعة وتصدير: الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، انتشارات ذوي القربى.

4 ـ **بداية الحكمة**، السيد محمّد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

5 ـ **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، مسكويه.

6 ـ **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليَّة الأربعة**، محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالملا صدرا، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

7 ـ **العلم والحكمة في الكتاب والسُنّة**، محمّد ري شهري، مؤسسة دار الحديث.

8 ـ **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت.

9 ـ **شرح أصول الكافي**، محمّد صالح المازندراني، مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
10 ـ **شرح وتعليقة صدر المتألهين على إلهيات الشفاء**، للشيخ الرئيس ابن سينا، انتشارات بنياد حكمت اسلامي ملا صدرا.
11 ـ **الصحاح**، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت.
12 ـ **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.
13 ـ **الفتوحات المكيّة**، محي الدِّين بن عربي، دار صادر ـ بيروت.
14 ـ **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، أبو الوليد بن رشد، نشر: دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية.
15 ـ **كتاب البرهان من منطق أرسطو**، أرسطو طاليس، تحقيق وتقديم: د. فريد جبر، دار الفكر اللبناني.
16 ـ **مجموع مصنَّفات شيخ الإشراق**، شهاب الدِّين السهروردي، تحقيق: هنري كورين، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي ـ إيران.
17 ـ **مفاتح الغيب**، محمّد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالملا صدرا، مؤسّسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي ـ إيران.
18 ـ **الموسوعة العربيّة**، من الإنترنت: http://www.arab-ency.com.
19 ـ **الميزان في تفسير القرآن**، العلَّامة الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة.
20 ـ **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر**، العلَّامة الحلِّي، دار الأضواء للطباعة والنشر ـ بيروت.

فهرس الموضوعات

تمهيد 5

حقيقة علم الفلسفة 9

تعريف علم الفلسفة 12

موضوع علم الفلسفة 15

مبادئ علم الفلسفة 18

مسائل علم الفلسفة 20

منهجيَّة البحث في الفلسفة 21

المنهج العقلي البرهاني 28

حدود دائرة كشف البرهان العقلي 31

الغاية والمنفعة من دراسة الفلسفة العقليَّة 33

دور الفلسفة في حياة الإنسان 35

حقيقة الدِّين 39

الغاية من بعث الأنبياء والأديان السماويَّة 42

المنهج المتبع في الخطاب الدِّيني 44

دور الدِّين في حياة الإنسان 48
دور الدِّين في الحياة الاجتماعيَّة 49
علاقة العقل بالدِّين 55
إرشاد الدِّين إلى التفكّر الفلسفي..... 58
النظر العقلي البرهاني أرقى أنواع التفكّر..... 59
المقارنة بين دور الدِّين ودور الفلسفة في حياة الإنسان..... 62
نتائج وتوصيات البحث 65
فهرس المصادر..... 69
فهرس الموضوعات 71

”كتاب موجز في صفحاته، سلس في تعابيره وأسلوبه، يعتمد الموضوعيَّة في تقييمه، يتعرض لمسألة مهمة كثرت فيها الآراء، وتشعبت فيها الإختلافات، وكانت موضوعاً عند بعض للاتهام والتكفير، والرفض والإقصاء، وهي مسألة العلاقة بين الدِّين والفلسفة، وهل هما متفقان أم مختلفان، سواء في الموضوع والمنهج، أو المعطيات والنتائج.

الحكمة العقلية
إيران - قم - شارع بوعلي سينا - الزقاق11- البناية 8
الهاتف: 32937909-25- 98+   9127596259- 98+
www.aqliyah.com
info@aqliyah.com